الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٥٦ — ٢٩ يونيه سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 156.

Lundi - 29 - 6 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ — ٢٩ يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

أروع أيام سعد

لعل يوم الجمعة التاسع عشر من هذا الشهر كان أروع أيام سعد ! انتصر فيه وهو رفاتٌ وفكرة وذكرى على الحقد الذى طالما نبح المجد ، وعلى السلطان الذى طالما قهر الزعامة . كانت روعة أيامه الغُرّ التى أسفرت عنها ليالى مالطةَ وسيشيل وجبل طارق من شخصيته التى طاولت العروش ، وعزيمته التى صاولت الجيوش ، وبلاغته التى عاجزت القدر ؛ أما يوم نقل الرفات إلى الضريح الرسمى فكانت روعته من الفكرة التى ثبتت على الاضطهاد وغلبت على الاستبداد وظهرت على الإفك ظهور الدين على الشرك بالإيمان والإخلاص والتضحية . وسر الجلالة العظمى فى سعد أنه كان وهو حى يمثل كبرياء الشعب ، ثم أصبح وهو مَيْتٌ يمثل سلطان الأمة . كان يمثل كبرياء الشعب لأنه خرج منه ونبغ فيه ، فكان حجة له على كبرائه الذين كانوا يتأبهون عنه ، ويلمزونه بالضعة ، وينبزونه بالفلاحة ؛ ثم عاد يمثل سلطان الأمة لأن جهاده الباسل بها ولها جعل اسمه رمزاً للاستقلال وعلماً على الدستور وعنواناً على الديمقراطية .

فمظاهر الفرح المستطير ، أو الحزن المرْمِض ، أو العزة المستطيلة ، التى أعلنها الشعب يوم خرج من معتقله أو رجع من منفاه ، و يوم الاحتفال بوفاته أو بنقل رفاته ، كانت مظاهر صادقة لعواطفه المتحدة ، صدرت عنه بدافع من نفسه و باعث من شعوره ، لأن سعدا لم يعدْ رجلاً محدود الوجود بذاته ومميزاته ورغائبه ، و إنما أصبح معنى مقدساً من معانى الشمول يختصر فى نفسه خصائص جنسه ، ويجمع فى قلبه أمانىّ شعبه ؛ فهو علم يخفق بالأمل ، ومنارة تشع بالهداية ، ورسول من رسل القيادة الذين يبعثهم الله إلى الناس فى متاهة السُبُل وضلالة النفوس فيكونون رمزاً لرجاء الانسان فى الله ، ومثالاً لرحمة الله بالانسان

* * *

كانت النفس المصرية فى ذلك اليوم المشهود على حال عجيبة من شتى الأحاسيس ومختلف العواطف : سرور مَزْهُوّ بفوز الإرادة القومية واستطاعتها بعد تسع سنين أن تصحح خطأً فادحاً من أخطاء الغرور الجاهل ، وحزنٌ دخيل هادئ لاحتجاب الشعاع وقد غام الأفق واستعجم المسلك ، ثم شماتة حانقة تصيح بالجبابرة الضعاف من أفواه الطرق ومنافذ البيوت ، وعلى أطورة الشوارع وسُوح الميادين : أنا الأمة ! أنا الإرادة الأولى ، وأنا الكلمة الأخيرة !

وكان فى موكب الرفات المنتصر قوم يمشون ، وجوههم إلى الأرض ، وأفكارهم الى الوراء ، يقولون فى أنفسهم : استعنا على كبْت هذا المجد الثائر بقوة السلطان وضجة البرلمان وثروة الخزانة ، فاذا كل أولئك معناه هَوَج العاصفة ، ورهج الغبار ، وسرف المطر ؛ و إذا الشمس من فوق أولئك لا تزال ساطعة الشعاع دائبة الارتفاع لا يرتقى اليها صخب ، ولا يعلق بها قَتَم ! إن الموت نفسه قد انخزلت عنه قواه فلم يستطع طمسه فى عين الوجود ولا محوه من سمع الزمن . لا يزال ملء الحاضر وعدة المستقبل ، ومن العناء الباطل أن يحاول الجبروت مهما طغى أن يدخله فى الماضى . هؤلاء هم الجند الذين طالما أكرهناهم على أن يطاردوه فى الأقاليم ، ويحاصروه فى العواصم ، ويصادروه فى الأندية ، ويضايقوه فى المنازل ، ويحولوا بينه و بين الشعب ، قد انقلبوا — بأى معجزة لا أدرى — فصاروا زينة لمجده وقوة لوفده وحراساً لمبدئه !

وكان بازاء الباشا المفكر طالب صادق الحدس ألمعى الفراسة ، لا يزال على وجهه الأبلج أثر من عِصِىّ الشرطة و بنادق الجند ، فرأى بين الحى المستذل الضارع ، وبين الميت المتجبر الشامخ ، عبرة من عبر الدهر ، وحكمة من حكَم القدر ؛ فهبَّ يصوغ من هذا المعنى هتافاً له ولرفاقه ؛ ولكنه تذكر أن الوطنى لا يحقد ولا يشمت ولا ينتقم ، فاكتفى أن يقول للزعيم الرجيم فى نفسه : لقد أدركت بعد الأوان أن المجد خير من الحطام ، وأن الشعب أبقى من الحكومة ! لقد بلغت كل عالٍ غير المجد ، وربحت كل نفيس غير الشرف !

* * *

ذلك سعد مثال الزعامة الحق يا نواب الأمة ! كان فى مماته كما كان فى حياته موضع القداسة منها وموطن الرجاء فيها ، لأنه أول مصرى حكمها بأمرها ، وساسها برأيها ، ونقلها من نظام القطيع إلى نظام الشورى ، وحول خزانتها من المتاع الخاص إلى المتاع المشترك ، وجعل العلاقة بين الأمة والحكومة « علاقة الجندى بالقائد ، لا علاقة الطائر بالصائد »

كان سعد من الشعب وظل طول عمره مع الشعب . تجبر ، ولكن على طغيان الثروة ؛ وتكبر ، ولكن على صاف المحتد . أما علينا وعلى أمثالنا من سواد الناس فكان كالأخ العطوف والوالد الحدِب

بهذه السيرة المجيدة فى الحياة يقتدى أصحابه البررة ؛ وبهذه العقلية السليمة فى الحكم يسير خليفته الى الفوز ؛ وبهذه الصفحة المشرقة فى التاريخ يضع سعد للخاصة دستور الزعامة ، ويضرب للعامة مثل البطولة ؛ وبهذه المنزلة الفريدة التى نزلها من شعبه يتولد فى النفوس الشابة الرغيبة طموح المظمة ، فيسعون لها بالحق ، ويتنافسون فيها بالكفاية

هاتان سبيلان واضحتا المعالم بيّنتا الحدود فى سياسة الأمة . أدت أولاهما بسعد إلى حياة الموت ، وأسرعت أخراهما بفلان إلى موت الحياة ! فهل لأكياس الناس بينهما خيار ؟

احمد حسن الزيات

ذات الثوب الأرجواني

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

(تنبيه — كل ما هو مكتوب هنا متخيل . وأنا بوافقني ويلائم مزاجي أن أجعل الكتابة على لساني)

— ٣ —

سألني صاحبي وهو يجلس : « إلى أين إن شاء الله ؟ »

قلت : « يا صاحبي ! العجلة من الشيطان . اجلس أولاً ، وتناول — ثانياً — شيئاً ، ثم سل ما بدالك بعد ذلك . على أني أستطيع أن أريح فؤادك القلق ، فأقول لك إنا ذاهبون إلى القناطر الخيرية ؛ فهل ارتاح قلبك يامولاي ؟ »

فصاح بي وهو يخرج السيجارة : « القناطر ؟ ... ماذا أخطرها ببالك ؟ ... وماذا تصنع هناك في هذا الحر ؟ ... شيء غريب ! »

قلت : « يا أخي إنك تفاجأ بالخبر فتستغربه ، أما أنا فقد أطلت التفكير في الأمر ، وعرضت لي آراء شتى نفيتها واحدا بعد واحد ، حتى استقر رأيي أخيرا على القناطر »

قال : « ولكن الجو حار الآن ... الساعة العاشرة ، وسنشتوي هناك ؛ وأين يمكن أن نجد طعاماً أو شراباً ؟ »

قلت : « لعلك تظن أن القناطر صحراء سينا ... ومع ذلك لا تخف أن تجوع ، فقد أعددت لمعدتك كل ما تحتاج اليه من طعام و ... »

قال : « ولكني رأيت السيارة ونظرت فيها فلم أجد شيئاً ، وأخشى أن تكون — كعادتك — معتمداً على أنها مدينة عظيمة مقصودة من الناس ، ثم نذهب فلا نجد شيئاً »

قلت : « بل ستجد كل شيء . والآن دعنا من حديث المعدة واسمع : إذا رأيت مني ما تنكر ، أعني ما يخالف المألوف من عاداتي فرجائي اليك أن تذكر قول الشاعر :

إن من ساءه الزمان بشيء   لحقيق إذن بأن يتسلى

« فهل أنت لبيب تكفيه الاشارة أم لا بد أن ... ؟ »

وفي هذه اللحظة أقبلت الفتاة — أم تراني لم أخبر القارئ أن فتاة كانت ستقبل ؟ ؟ على كل حال ... المهم أنه — أعني القارئ — قد عرف أن فتاة قد أقبلت ، ولا شك أنه استنتج من قولي هذا أنها وسيمة — ولا أبالغ فأقول جميلة — وأن الموعد كان مرتباً من قبل . ونظر صديقي اليها ثم إليّ وهز رأسه ووقف استعدادا لاستقبالها وتحيتها . وكان وجهه كالطماطم — أعني أحمر جداً — وليس هذا لونه في العادة ، وإن كان صحيح الجسم ، معافى البدن ، حسن اللون والشارة ؛ ولكنه شديد الحياء . فقلت للفتاة : « زوزو ... هذا صديقي الذي حدثتك عنه ؛ وفي وسعك أن تعديه صديقاً لك أيضاً .. هل جاءت ليلى ؟ ؟ »

قالت وهي تناوله يدها : « نعم ... وهي تنتظر في الخارج »

قلت : « ولماذا لم تدخل ؟ .. هل أذهب وأدعوها ؟ »

قالت : « كلا . إن معها الأشياء .... والأفضل أن نذهب الآن »

ومضينا إلى القناطر على مهل ، وكانت السيارة جديدة ، ولا بد أن أقتصد في السرعة حتى تلين وتكتسب آلاتها المرونة اللازمة وإلا فسدت وخربت بسرعة وقصر عمرها . وكانت زوزو وليلى تنظران إلى السيارات الأخرى التي تخطف إلى جانبنا وتتركنا وراءها فتتحسران . وكانت زوزو لا تفتأ تقول لي : « ألا يمكن أن ندرك هذه السيارة ؟ » وتشير إلى واحدة من السيارات الكثيرة التي كانت تمرق كالسهم ، فأقول : « بالطبع نستطيع ، ولكن الثمن باهظ . ثم إن العجلة من الشيطان ؛ وقد كنت قبل مجيئك ألقي درساً على هذا الصديق في وجوب التريث وتحاشي العجلة . والظاهر أنك لست خيرا منه ولا أقل حاجة إلى مثل هذه الدروس التي أعطيها للناس مجاناً »

فتصيح بي : « دروس ايه وعجلة ايه ؟ ؟ . كلام فارغ ! ! كيف تترك هذه السيارات تسبقنا ، مع أن سيارتك جديدة وجميلة ؟ »

فأقول : « أشكرك — بالنيابة عن السيارة . ولو كان لها لسان لأسمعتك المطرب المعجب من آيات شكرها وتقديرها لهذا الثناء الجميل ، ولكنها كما تعلمين خرساء بكماء لا تحسن إلا أن تجري »

فتقاطعني معترضة : « تجري ؟ ؟ تقول تجري ؟ ؟ إنها تزحف ! ! ألا ترى كيف سبقنا كل الناس ؟ .. هل تريد أن نصل إلى القناطر غداً ؟ »

فأتوكل على الله وأجازف بمستقبل السيارة وأعذر في سرى

الشبان الذين يكونون مع الفتيات فينطلقون كالقنابل فتتحطم سياراتهم ، وقد يلقون همُ حتوفهم ؛ فان وجود فتاة مع السائق يغريه باهمال ما يشير به العقل والحكمة . وقد أركبت فتيات كثيرات فلم أر منهن واحدة ترتاح إلى البطء ، وأحسب السبب أن السرعة مظهر من مظاهر القوة وأن السبق غلبة ، والمرأة تعجب بالرجل القوى السباق ، ولا تعجب بالرجل الضعيف الوانى ، وهى لا تدخل فى حسابها أن هذه سيارة وأن المعول عليها لا على الرجل ، وأن الذنب يكون ذنبها إذا قصرت وكانت بطيئة أو ضعيفة . وإنما كل ما تفكر فيه وتعنى به أن معها رجلاً ، وأن رجلها هذا ينبغى أن يكون الأقوى والأبرز والأسرع والأبرع ، إلى آخر ذلك . وهو عندها مسئول عن السيارة التى لم يصنعها . ولعل منطقها أنه اشترى سيارة ، فلماذا لم يشتر سيارة قوية سريعة ؟ ؟ وقد يكون قليل المال ولكن هذا لا ينهض عذرا له ، إذ لماذا يكون قليل المال ؟ ؟ وقد تكون السرعة بغيضة اليه ، ولكن الأمر يرجع إلى تقديرها هى لا إلى تقديره ، ولا إلى ما يؤثر وما يكره . وإذا كان لابد أن يتوخى ما يشير به مزاجه ، فلماذا يستصحب امرأة ؟ ؟

من أجل هذا اضطررت أن أسرع على خلاف ما يقضى به الواجب والحزم وإلا ساء رأى صاحبتى فىّ ، ومن الذى يسره أن يسوء رأى المرأة فيه ؟ ؟ ولاسيا امرأة تكون معه ويكون همه فى هذه اللحظة على الأقل أن يرضيها .. وأدركنا بضع سيارات سبقناها ففرحت وأشرق وجهها وانبسطت أسارير محياها وكثر ضحكها — بل ضحكهما — بعد التقطيب والوجوم والاعتراض ، وصارت كلما مررنا بجانب سيارة تصفق وتصيح « هيه ! ! » على سبيل الاعجاب بالسيارة التى هى فيها — أى الاعجاب بنفسها ، فان إعجاب المرأة بشىء يكون لها مظهر لاعجابها بنفسها هى — والشماتة بالمسبوق والتعبير له والتحدى أيضاً ؛ والمرأة إذا أعجبت برجل جعلت وكدها أن تتحدى الرجال به على صور شتى بعضها أخفى من بعض . وما أكثر ما يكون استمرار إعجابها به رهناً باستمرار فوزه على الأقران وغلبته لهم فيما تورطه فيه

وبلغنا القناطر بعد نصف ساعة ؛ وكانت هذه أول مرة تراها فيها فأقبلت على تسألنى عن كل ما تأخذه العين هناك وجعلت أنا أحيلها على صديقى لا تفرغ للسير ومآزقه فى هذا الزحام الشديد حتى صرنا عند أول البساتين ، وكانت الاحالة على صديقى تغضبها لتوهمها أن ذلك مبعثه الملل أو الاعراض ، ولا ملل ولا إعراض منى وإنما هى مشاغل الطريق ؛ غير أن المرأة قل أن تقدر ذلك لأن خواطرها كلها دائرة حول نفسها وشخصها ، وهى تفسر كل شىء بأنه صادر عن حب أو كره ، وعن رغبة أو زهد ، وعن إقبال أو انصراف وإعراض ، وعن ارتياح أو ملل وسآمة

وقال لى صاحبى ونحن ندخل البساتين والفتاتان أمامنا : « والآن قل لى ماذا ساءك من زمانك ويوشك أن يخرج بك عن طورك ؟ »

قلت : « يا أخى إنى شاكر لك — وأنت تعلم صدق هذه العنايةَ بالاطمئنان علىّ ، ولكنى لو أفضيت إليك بهذا السر لما بقيت له لذة تخفف ألمه . انتظر حتى يفتر كل شىء — الألم واللذة جميعاً — فلا يعدو الكلام حينئذ أن يكون حديثاً عن شىء مضى ولا يكاد يعنينى »

فهز رأسه ومضى عنى إلى الفتاتين

وظللت طول النهار أضحك وألعب وأثب وأجرى وآكل وأشرب وأرسلت نفسى على سجيتها — وإن كان ينقصنى أن أعرف أن الخفة من سجاياى — وخلعت ثوب الاحتشام ورحت أكلم من لا أعرف وأدعو إلى طعامنا كل من يمر بنا — رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً — وأبدأ بالحديث من لم أر وجهه إلا فى ذلك اليوم ، وأخطف الكرة ممن يتقاذفونها ، وأجر رِجْلَ هذا ، وأشد أذنَ ذاك ، وأفعل ما يفعل الأطفال عادة إذا شجعتهم فأنسوا منك الارتياح إلى عبثهم ، حتى ضج صاحبى وضاق صدره ولم يعد يطيق هذا الخُلُقَ العظيم الذى حف بنا واندمج فينا وشاركنى وشاركته فى اللعب والضحك والجرى . فركبنا زورقاً صغيراً ؛ لكن هذا لم ينجه ولم يمنع أن أمضى فيما وطنت النفس عليه فى ذلك اليوم ، فقد كانت هناك زوارق أخرى فصرت أدنو بالقارب منها حتى أحاذيها ، ثم أروح أعابث من فيها ، فنفد صبر صديقى وأمر النوتى أن ينأى بنا عن الخلق جميعاً فاستلقيت على ظهرى وأغمضت عينى وتظاهرت بالنوم

ولكنى لم أنم ، وإنما كنت أحدث نفسى وأسألها عن جدوى هذا الذى صنعت ؟ أتراه أنسانى شيئاً أو أذهلنى عما بى ؟؟ ولم يسعنى إلا أن أعترف بأن كل ما صنعت كان عبثاً . فقد كانت ذات الثوب الأرجوانى ماثلة أبداً أمام ناظرى لا تبرحه ولا تفتر صورتها التى تلازمنى ، وكنت أراها فى كل من أرى وما تأخذه

العين ، فأنا حين أنظر إلى واحـدة من هاتين الفتاتين لا أراها وإنما أرى ذات الثوب الأرجوانى ، ويفتننى منظر فأقول لمن معى : « أنظروا ... ما أبدع هذا » ويكون الذى يفتننى منه ذات الثوب الأرجوانى التى تبدو لى فى إطار من هـذا النظر . ولـما ركبنا الزورق كان يخيـل إلىّ أنها سابحة فى المـاء كعرائس البحر ، وما سمعت ضحكة ناعمة إلا قلت لنفسى لعل ضحكتها أرق وأسحر

وأعجب من هذا أنى كنت أجـدنى وأنا أضاحك الناس وأحدثهم وألاعبهم وأسابقهم أفكر فيها وأسأل نفسى عنها — وكان حسبى ما أنا فيه مما يستغرق جهد النفس — وأقول — فى سرى وبينى وبين نفسى — هل أنت تحبها ؟ ؟ أواثق أنت أن هذا هو الحب . . فتجيبنى النفس أن نعم لا شك فى ذلك ، فأكرعليها معترضاً على هذا التأكيد وأقول : ولـكنك لا تعرفها .. لا تعرف حتى اسمها .. وما رأيتها إلا عن بعد فماذا تحب منها .. لا تستطيع أن تدعى أنك واجد فيها غير صورة جسمية هى التى تتراءى لك من هـذا البعد . ولعلها لو دنت قليلاً لطالعك منها ما لا ترتاح اليه ، فالأرجح أنك تحب منها صورة ألفتها أنت من الألوان التى استعرتها منها . ولا شك أنك زدت هذه الألوان قوة وأضفت اليها من خيالك . ولو أنك كنت مصـورا وحاولت أن ترسم لها صورة من ذاكرتك لما استطعت أن تثبت شيئاً من ملامحها ، ولجاء الرسم لمخلوق من مخلوقات خيالك أنت ، وإن كان لا يخلو من شبه بذات الثوب الأرجوانى . فحتى الصورة المادية — أو الجسمية — التى تبدو لك ليست ثابتة ولا مقررة فى نفسك ، لأن الصور لا تثبت خطوطها وألوانها على مثل هذا البعـد . ومن السهل أن تُمحَىّ عليها وتمحوها صور أخرى تكون أثبت لأنها تكون أقرب فأقدر على التأثير وأنفذ بسبب القرب الى أعماق النفس والاستقرار فيها . ولو أن صورة ذات الثوب الأرجوانى كانت عميقة الأثر فى نفسك ومنقوشة بألوانها وخطوطها المميزة لها على صدرك ، أكنت تظن أن فى وسعك أن تتسلى كما تتسلى الآن بهذه الفتاة أو تلك ممن تعرف ؟؟ أكان يمكن أن ترتاح الى وجود غيرها وإن كنت تزعم أنك تتسلى ؟ ؟ لا ياصاحبى !.. وحسبك أن تسأل نفسك بأى شىء تذكرها . . ماذا فى نفسك منها غير صورتها فى النافذة كما تستطيع أن تراها على بعد ثلاثين مترا ! ؟ لو كنت كلمتها !! لو كنت رأيت ابتسامتها ونظرة عينيها ومنطق وجهها وتعبير محياها ، وكيف تكون إذ ترق وتحنو ، وحين يسرها شىء ، وعند ما تبدو عليها اللهفة أو الجزع أو الاضطراب ، والزهد فى شىء والرغبة فى آخر ، وحينما تتدلل أو تسخو ، وإذ تضحك أو تتجهم !! لو كنت رأيت شيئاً من ذلك لأمكن أن تقول إنك عرفتها وأحببتها ، ولـكان لحبك لها غذاءٌ ومددٌ من ذكريات هذه الحالات المختلفة .. أما الآن فبماذا يتغذى حبك ؟ ؟ على أى شىء يعيش ؟ ؟ بأى شىء تذكرها إذا غابت عنك . . . بصورة هى أشد غموضاً من الرسم الفوتوغرافى وأخفى منه تعبيرا ؟ ؟ وهى مثلك ... أتزعم أنها توليك عناية واهتماما ، وأنها تفكر فيك ، وأنها لا تفتأ تنظر اليك ؟ فما يدريك أن هذا ليس من باب التطلع ومن قبيل الاستغراب أو اطاعة لرغبة نشأت فى الوقوف على حالات غريبة تبـدو من شخص يستحق عناية على كل حال لسبب من الأسباب التى تدعو الى العناية ؟ ؟ هه ؟ ؟ وهبها — جـدلا — أحبتك كما تظن أنك تحبها فان شأنها كشأنك ! . . ولعلـكما لو تلاقيتما لـكره كل منكما صاحبه ، أو نفر منه ، على الأقل ، أو إذا شئت ، لفتر ما يجده من الحب ، إذ كان لا أساس له إلا الصور الغامضة التى ينقصها البيان والتأثير الذاتى المباشر . . ويظهر أنها مثلك واسعة الخيال . . . وشبابها هو عذرها إذا جمح خيالها . . فانها غريرة ساذجة لا تعرف الدنيا . وأكبر الظن أنها لم تجرب الحب فهى لهذا شديدة الحنين اليه . ولـكن أنت ؟ . أنت ؟ . أنت المجرب الذى عرف المرأة ودرس وخبر كل ما يسع الرجل أن يخبر .. كيف يمكن أن تخدع نفسك وتغلط على هذا النحو فى فهم شعورك ؟ إن هذا منك مضحك !

وقد اعترضت على نفسى وأبيت أن أسايرها إلى حيث تريد فانى أعرفها خبيثة شديدة المغالطة ، وقلت لها : « كيف تزعمين يا نفسى أن لا شىء عنـدى من الذكريات أغذى بها حبها ؟ ألم تسمعنى صوتها فى ضحكة فضية ؟ (واها لهذا الرنين) اليست تبدو — أكثر الوقت — فى الثوب الأرجوانى الذى تعرف أنى أحبه ؟ أتسألين يا نفس كيف عرفتْ أنى أحب هذا الثوب ؟ . قبحك الله ! . وما شأنك أنت ؟ . أعرف أنها تعرف والسلام ! وأنا على يقين من أنها تعرف . وبينى وبينها لغة لا تحتاج الى الـكلام ولا الى النظر . . . لغة أفهمها وتفهمها وإن كان كلانا معرضاً عن صاحبه ، لأنها ذكية — مثلى ولا فخر — فهى تدرك أنى حين أكف عن النظر اليها ، يلتفت قلبى إليها ، وإن كانت عينى قد تحولت عنها لسبب غير ارادة النفس وهوى الفؤاد .. ولا يخفى

عليها أنى حين أنظر الى ترام عابر أو سيارة تخطف فى الطريق أو زمرة مارة ، فانى إنما أفعل ذلك لأنى أخاف عليها الناس أن يلهجوا بنا . وليبق حبى وحبها كنزاً لا يعرف سرَّه غيرُنا . . ولا يشاركنا فيه — بالعلم — ثالثٌ . ولست أكلمها — هذا صحيح — ولا أنا أشير اليها ، لأنى أعرف أنها تعرف أن الاشارة تحصيل حاصل . وماثلاثون متراً بيننا ؟ ؟ إن قلبها كتاب مفتوح ؟ وهل تستطيع الزهرة الأرجة أن تكتم الشذى ؟ ؟ . نعم إنها حريصة كيسة ، ولكنى مع ذلك أعرف حين أراها مقطبة عابسة أن قلبها يضحك وإن كانت نظرتها صارمة الجد . . ولقد بدت منها إشارات تعمدت ألا أفهمها — لا لأنى لم أفهم بل لأنى خفت أن تكون قد صدرت عنها عفواً وعلى غير عمد ، فأكون قد تسرعت وأسأت التأويل . ولا أقول ما هذه الاشارات فانى حريص على الاستئثار بها والانفراد دون خلق الله بمعرفتها . وما أكثر ما أذكر من حالاتها حين تكون وحدها وحين يكون معها غيرها .. وهل أنسى أنها حين تغضب علىّ لبلادتى وبطء فهمى تذهب فتلبس ثوباً غير الأرجوانى ؟ ؟ هل أنسى كيف تلف على شعرها شريطاً وتترك خصله الوطفاء مرسلة على جانبى محياها الصابح يعبث بها النسيم فتهز رأسها لتردها وتصلح منها وتسويها ؟ ؟ . هل أنسى كيف تجلس وفى يدها الكتاب — على ركبتها — وظهرها إلىّ وهى مع ذلك ترانى وتعرف أنى ناظر إليها ومعجب بها ومتلهف على نظرة منها ؟؟ هل أنسى كيف تكايدنى وتهيجنى وتثير نفسى لتمتحن حبى وترى ما ذا يكون من أثر ذلك فى نفسى ؟ ؟ وما أعذب مكايدتها وأحلاها ! ! . وما أجهلها بى إذا كانت تظن أن شيئاً من ذلك يثيرنى ويغضبنى ! فان فى وسعى — دائماً — أن أضع نفسى فى مكان الغير ، وأن أتصور ما يُمْقَلُ أن يصدر عنه وأن أقدر البواعث على ما يبدر منه فاعذره فى الأغلب . . والحق أقول إنى أراها مقصرة فى مكايدتى لا مسرفة . ولا أنكر أنه يعز علىّ أن تغيب عن عينى ، ولكنى أنا مضطر أن أغيب عنها وأنقطع عن النظر إليها ، وعزائى أنى لا أنعم بأكثر من مرآها وأنها لم تهبنى أكثر من منظرها من بعيد ، وأنها لم تولنى ما أتحسر على فقده إذا فقدته ؛ وما دام هذا هكذا فانى أستطيع أن أراها بعين الخيال كما أراها بعينى التى فى رأسى . ولو أنى كنت مكانها لعرفت كيف أكايدها ، فلتحمد الله الذى خلقنى رجلاً ولم يخلقنى امرأة .

ولو شئت لعذبتها ولكنى أوثر الترفق — بطبعى — وإن كنت لخبرتى بالطبيعة البشرية من أعرق الناس بوسائل التعذيب . وأنا أسأل نفسى دائماً « لماذا أعذبها وأنا أحبها ؟ » ، وبماذا تستحق التعذيب وهى لو وسعها أن ترضينى لأرضتنى ؟ لا شك فى ذلك ، وصحيح أنه يسعها أكثر مما تبدى ولكنى لا أحب أن أعجل باللوم . . ومن يدرى ؟ . لقد علمتنى حياتى أن اليأس سخافة ، وأن العجلة من الشيطان ، كما أقول لصديق ، وأن طول البال ينيل الأمل ، كما يقول المثل العامى ، وأن الغضب حماقة ، وأن العتاب عبث ، وهو فى النهاية يفتر الحب ، وأنا أحب هذه الارجوانية الثوب وأحب أن يطول حبها لى ، لأنى أعرف من نفسى أن حبى لا يفتر وإن كان فى وسعى — بفضل رياضتى لنفسى — أن أستر ناره بالرماد . كلا لن أكايدها وسأصبر عليها وأملى لها وأمهلها لأرى ما يكون منها ولأختبر مبلغ حبها فانى على الرغم من الحب أوثر أن أقدّر لرجلى قبل الخطو موضعها . فاذا رأيت منها ما يطمئن خرجت عن هذا التحفظ الثقيل عليها وعلى أيضاً وإلا فانى قادر على خنق هذا الحب ولو كلفنى تقليع أحشائى من جذورها

فى هذا كنت أفكر ، وبهذا كنت أناجى نفسى ، وأنا ألاعب هذه الفتاة وتلك وأضاحكهما وأسابقهما وأسخط صديقى على بترك الاحتشام الذى ألفه منى حتى صار يستغرب منى الابتسام ، وليس أعجب من اشتغال النفس بأمرين فى وقت واحد . ولكنى لا أكتب مقالاً فى علم النفس وإنما أسوق حكاية وأصف حالة فيحسن أن أقتصر على ذلك

وقد عدت من القناطر بغير ما كنت أرجو أن أفوز به . نعم لهوتُ وضحكت وبدوت لمن لا يعرفنى كأسعد ما يكون إنسان . ومن ذا الذى يمكن أن يسمع ضحكتى ويرى وثبى وقفزى ويرتاب فى أنى سعيد موفق ؟ ؟ ولكن صديقى كان يعلم أن فى صدرى شيئاً أكتمه ، وأن ما أنطوى عليه ليس مما يهون حمله ، وإلا لما التمست التلهى ونشدت التعزى ، غير أنه كان على هذا يجهل — ومن أين يعرف ؟ — أن فى جوفى ناراً مضطرمة من القلق والشك والحيرة والاضطراب وقد خرجت من الحوار الذى دار بينى وبين نفسى بالشك وباعتقاد أنى جاهل ما فى ضمير الفؤاد — أو على الأقل أن الأمر فيه نظر كبير فالحق أن معرفة النفس أشق المعارف وأعسرها مطلباً . .

ابراهيم عبد القادر المازنى

حلم الدولة اليهودية
والوطن القومى اليهودى
لمؤرخ كبير

مضى اليوم أكثر من شهرين مذ بدأت فلسطين ثورتها القومية المضطرمة ؛ وقد حسب الاستعمار يوم نشوبها أنه أمام حركة تذمر عادية يسهل قمعها بالوسائل المعتادة فاذا به أمام ثورة قومية عامة ، وعزم راسخ على النضال ، ومعركة حياة أو موت من شعب يؤثر السقوط فى ميدان الكفاح الشريف ، على الاعدام البطىء المنظم

ولقد بسطت (الرسالة) قضية فلسطين فى مقال سابق ، بين فيه كاتبه مبلغ ما ترزح تحته هذه الأمة الصغيرة الباسلة من صنوف الاستعباد المرهق ، السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، سواء من جانب السياسة البريطانية التى قضت باختيار فلسطين منزلاً للوطن القومى اليهودى أو من جانب الصهيونية التى تعمل لتوطيد دعائم هذا الوطن اليهودى بكل ما وسعت من وسائل الضغط المالى والثقافى متمتعة فى جهودها برعاية السياسة البريطانية ومؤازرتها

وإذا كنا لانستطيع الآن أن نتنبأ بما تفيده السياسة البريطانية من هذا الدرس ، أو بما تزمع أن تتخذه من الخطط الجديدة فى المستقبل نحو فلسطين ، فانا نستطيع من جهة أخرى أن نقول إن هذه الفورة العنيفة التى قامت بها فلسطين سيكون لها أثرها العميق فى صدع أركان الوطن القومى اليهودى ، وفى التدليل على ما فى صياغته وتكوينه من أوجه الخيال والعوامل المصطنعة التى تتعارض مع الحقائق التاريخية والعملية

إن إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، هو الخطوة العملية الأولى فى برنامج الصهيونية الحديثة ؛ وهو التمهيد لانشاء الدولة اليهودية التى هى غاية الصهيونية الحقيقية ؛ واليهودية تحلم بانشاء هذا الوطن القومى وتعمل له منذ أكثر من قرن ؛ ولكن برنامج اليهودية النهائى لانشاء الوطن القومى لم يوضع إلا فى أواخر القرن الماضى ، حيث بدأ زعماء اليهودية يجمعون المال لانشاء المستعمرات فى فلسطين ويبذلون جهودهم لدى الباب العالى ، وحيث أذاع تيودور هرتسل ، رسول الصهيونية الحديثة وروحها المضطرم ، رسالته الشهيرة عن الدولة اليهودية : « Die Judenstaat » وهرتسل كاتب وصحفى يهودى نمسوى ، ظهر فى أواخر القرن الماضى فى ڤينا بكتاباته الملتهبة فى سبيل القضية اليهودية ، فالفت صيحته أفقاً صالحاً لأن معظم الدول الأوربية كانت تجيش يومئذ بعوامل الخصومة السامية ، وتلقى اليهودية الاضطهاد المنظم فى كل مكان . وفى كتاب « الدولة اليهودية » يعرض هرتسل فكرة الوطن القومى عرضا قويا ، ويرى أن يتخذ هذا الوطن صورة دولة يهودية فى فلسطين تكون تحت سيادة الباب العالى ، وتؤدى له الجزية ، وتكون البقاع المقدسة منطقة مستقلة ذات نظام خاص ؛ فصادفت الدعوة نجاحاً عظيما بين أقطاب اليهودية فى أنحاء العالم كله ، وانتظمت الحركة تحت لواء هرتسل وزعامته . وفى أغسطس سنة ١٨٩٧ ، عقد مؤتمر يهودى عام فى بازل (سويسرا) برياسة هرتسل ، ووضع فيه برنامج الصهيونية الرسمى ، وعرفت غاياتها ووسائلها على النحو الآتى :

« تسعى الصهيونية لتحقق للشعب اليهودى إنشاء وطن قوى فى فلسطين يتمتع بالضمانات التى يقررها القانون العام ، ويرى المؤتمر أن يتذرع بالوسائل الآتية لتحقيق هذه الغاية :

(١) ان يشجع استعمار فلسطين بواسطة الزراع والعمال والصناع

(٢) ان ينظم العالم اليهودى باسره وان يحشد فى الجماعات المحلية أو العامة طبقا لقوانين البلاد المختلفة

(٣) أن تقوى لدى اليهود عواطف الكرامة القومية والاعتزاز بالجنس

(٤) ان تبذل المساعى اللازمة للحصول على التصريحات الرسمية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية

هذا هو هيكل الصهيونية وبرنامجها العملى ؛ وقد تطورت ظروف العالم السياسية منذ عصر هرتسل ومؤتمر بازل ، واستطاعت الصهيونية بعد جهود ومحاولات عديدة أن تلقى فرصتها فى الحرب الكبرى ، وان تظفر بتحقيق الشطر الأول من برنامجها بانشاء الوطن القومى فى فلسطين ، ولكن لا تحت سيادة الباب العالى ، وانما تحت السيادة البريطانية ، وذلك بمقتضى عهد بلفور الذى قطعته الحكومة البريطانية على نفسها فى نوفمبر سنة ١٩١٧

وقد مضى على قيام الوطن القومى اليهودى فى فلسطين زهاء تسعة عشر عاماً ، وأصبح فى ظل الانتداب البريطانى ، وطبقاً

لنصوص الانتداب ذاته ، من الوجهة الدولية ، نظاماً شرعياً معترفاً به من جميع الدول الكبرى ؛ وفى هذه الفترة بذلت اليهودية جهوداً جبارة لاقامة هذا الصرح القومى الذى تحلم به منذ الآماد ، فتدفقت الهجرة اليهودية إلى فلسطين حتى أصبح عدد اليهود فيها زهاء نصف مليون ، وأقيمت المستعمرات والمشاريع اليهودية الضخمة فى جميع انحاء البلاد ، وانشئت مدينة تل أبيب لتكون عاصمة الوطن الجديد ، وأقيمة جامعة عبرية لتعمل لأحياء التراث اليهودى الروحى والفكرى ؛ وعلى الجملة فقد استطاعت اليهودية أن تحقق فى فلسطين كثيراً من المظاهر المادية والاقتصادية والاجتماعية للوطن القومى اليهودى

ولكن هذه المظاهر على ضخامتها وقوتها تبدو اليوم ضئيلة واهنة أمام ثورة الشعب الذى يقام هذا الوطن فى أرضه ، وعلى أنقاض حقوقه وموارده ؛ فاليوم يهاجم الوطن اليهودى ، ويطعن من كل صوب ، وتقوض مستعمراته ومنشآته ، وتعطل جميع مرافقه ومصالحه ، وتشل جميع حركاته ومعاملاته ، ويكاد يغدو فى حالة حصار مطبق ؛ كل ذلك تحت بصر القوى الاستعمارية التى هرعت إلى فلسطين لحمايته . وقد شعرت الصهيونية من قبل غير مرة بخطر الفورات القومية الفلسطينية على صرحها ، ولكنها لم تكن تتصور أن الخطر قد يبلغ هذا المدى من الروعة ، أو أن هذه الأمة العربية الصغيرة يمكن أن تضطلع بمثل هذا الكفاح الشاق الجلد ؛ وإذا لم يكن ثمة ريب فى أن القوى الاستعمارية الغاشمة ستتغلب فى النهاية على الكفاح القوى الباسل ، فانه لا ريب أيضاً فى أن الوطن القومى اليهودى سيخرج من المعركة مثخناً بالجراح ، وقد وهنت قواه المادية والمعنوية ، وزادت شكوك الصهيونية وهواجسها نحو المستقبل الغامض

والواقع أن فكرة الوطن القومى اليهودى لم تكن بنت القرن التاسع عشر فقط ، ولكنها ترجع إلى أقدم العصور ؛ فذ حطمت مملكة أورشليم اليهودية منذ نحو ألفى عام ، وشتت اليهود فى أنحاء الأرض ، تحلم اليهودية بالعود إلى أرض إسرائيل ؛ ومع أن الجماعات اليهودية قد استقرت فى الأراضى التى استوطنتها مدى القرون ، غير أنها لم تندمج قط فى الشعوب التى عاشت بين ظهرانيها ، ولبثت تكون دائماً مجتمعات مستقلة . وترجع اليهودية تلك الظاهرة إلى نظم الاضطهاد والعزلة التى كانت تفرض على اليهود ، وحرمانهم من الحقوق السياسية والمدنية طوال القرون ، حتى أنهم كانوا يرغمون على السكن والاحتشاد فى أماكن خاصة تسمى (الجيتو) . ولكن الحقيقة أن اليهودية هى التى اختارت لنفسها هذه العزلة ، وهذا الاستقلال الخالد عند الشعوب التى استقرت فيها . ذلك أن اليهودية كانت وما زالت تعتبر دائماً أن الدين هو جامعة الجنس بين اليهود ، وأن اليهودية هى ملاذ الشعب اليهودى أينما حل ، وبعبارة أخرى إن الدين والجنسية بالنسبة لليهود هما وحدة لا تتجزأ . وهذا هو الخطأ الخالد الذى وقعت فيه اليهودية ، والذى أثار عليها فى كل العصور ريب الشعوب وحقدها ، والذى هو فى الواقع أكبر عامل فى تحريك الخصومة السامية . وهذا هو الأساس الخاطئ الذى تبنى عليه فكرة الوطن القومى الذى يجتمع فيه اليهود من جميع الجنسيات واللغات

وقد فطن إلى هذا الخطأ الذى هو عنوان التعصب الخالد بعض أقطاب اليهودية ، وحاولوا أن يدعوا إلى فصل الدين عن الجنسية ، وإلى تشبه اليهود بسائر الشعوب فى اعتبار الدين مسألة روحية محضة لا علاقة لها بالجنسية ؛ دعا إلى ذلك الفيلسوف الألمانى اليهودى موسى مندلزون فى القرن الثامن عشر ، ورأى أن تتخذ القومية اليهودية صبغة محلية ، فيندمج اليهود من أبناء البلد الذى استوطنوه مع احتفاظهم بتراثهم الروحى ؛ وآزر مندلزون فى هذه الدعوة بعض أكابر المفكرين الألمان من غير اليهود مثل الكاتب الشهير لسنج وغيره ؛ ولكن هذه القومية المعتدلة التى أملى بها جو التسامح الذى نعمت به اليهودية يومئذ لم تلق كبير تأييد ، ولم يطل أمدها ، واستمرت الفكرة الدينية القديمة على قوتها وحدتها

والوطن القومى اليهودى يقوم كما قدمنا على نفس هذا الأساس ، أى على جامعة الدين ؛ وهذه أكبر نقط الضعف المعنوى فى بنائه ، فالقوميات والشعوب الحديثة لا تقام باسم الدين ؛ ولم يبق الدين فى بلد من بلاد العالم المتمدين أساساً للدولة ؛ ثم إن هذا الضعف المعنوى فى الوطن اليهودى يتخذ مظاهره المادية ، ففى فلسطين يجتمع الآن يهود من جميع الجنسيات والثقافات واللغات والنزعات السياسية ، ومن المحقق أن العمل الاجتماعى المتناسق بين هذه العقليات والبيئات المتباينة صعب التحقيق . والواقع أن معظم اليهود المهاجرين يفدون على فلسطين لبواعث اقتصادية قبل كل شئ ، ولكى يحققوا لأنفسهم بعض وسائل العيش التى يفتقدونها فى بلادهم الأصلية ؛ ومنهم من يفد فراراً من الاضطهاد الذى يفرض

حادثة فلسطين

للأستاذ على الطنطاوى

... لئن كانت حادثة الحبشة فضيحة القرن العشرين ، فان حادثة فلسطين – إن تمت – فضيحة الدهر ، وعار يلحق كل من يقول : أنا انسان ...

بيد أن الحبشة إن غلبت بملايينها وسلاحها وجيوشها ، فان هذا الشعب الأعزل الذى لا يبلغ المليون الواحد لن يغلب على أرضه أبداً ، لأن وراءه سبعين مليوناً من العرب ، إن وراءه أربعمائة مليون من المسلمين ، إن وراءه ألف معركة منها أجنادين واليرموك وحطّين ، إن وراءه القرآن الذى يقول عن اليهود : « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ » صدق الله العظيم ؛ وكذبوا ... إن الذليل لا يعز ، والمسكين لا يملك ، والمغضوب عليه لا يفلح أبداً !

* * *

إن حادثة فلسطين ، لو تدبرها العقل ، وفهمها على وجهها لما رآها إلا ... « جريمة » : أبطالها طائفة من اللصوص ، وشرذمة من الحرّاس ، لصوص يتسوّرون الدار ليطردوا صاحبها ، ويحتلوها ويشرّدوا أهلها ، وحراس يعينون اللص على المالك وينصرون على الحق الباطل ...

ولكنّ الجريمة لن تتمّ : إن الأسد فى العرين ، وربّ الدار يعرف كيف يحمى الدار ... فيا أحفاد كعب بن الأشرف ، وسلاّم بن أبى الحُقيق ، وعصماء وأبى عَفَك ، نحن أبناء محمد بن سلمة ، وعبدالله بن عتيك ، وعُمَير بن عدىّ ، وسالم بن عمير ... فماذا أغنى عن أجدادكم – إذا هم كانوا أجدادكم حقاً – إذا أغنى عنهم ما لهم ، أو دفعت عنهم حصونهم ، أو نفعهم حلفاؤهم ، وما حزّبوا علينا من أحزاب ، أغنى ذلك عنكم :

« هوَ الذى أخرَجَ الذينَ كفَرُوا منْ ديارِهمْ لأوّلِ الحشرِ ما ظنَنْتمْ أنْ يخرُجوا وظنّوا أنّهمْ مانعتُهمْ حصونُهم من الله . فأتاهُمُ اللهُ منْ حيثُ لم يحتسبوا وقذَفَ فى قلوبهِمْ الرُّعْبَ يُخربونَ بيوتَهم بأيديهم وأيدى المؤمنين . فاعتبروا يا أولى الأبصار »

* * *

ولئن اشتدت اليوم المصيبة وعظم الخطب ، فقد كانا يومئذ أشد وأعظم ، يوم قامت أوربة كلها على قدم وساق ، ثم سارت الينا بقضها وقضيضها ، يحدوها التعصب الأعمى ، وتسوقها عصا البغضاء والحقد والعداوة الدينية ، فأفسدت البلاد وعاثت فى الحرم ، حتى إذا ظنت أنها قد ملكت وتمكنت ، وبنت فأسست ، وباضت وفرّخت ؛ جاءها رجل واحد فحطم جيوشها فى حطين ، ثم ردّهم على أعقابهم خاسرين ، ثم أخرجهم منها مذءومين مدحورين

أفعيينا بأوربة كلها ، وعجزنا عنها حتى نعجز عن حفنة من شذّاذ الآفاق ونفايات الأمم وعباد الدرهم والدينار ؟ أم قد جفّ الدم الذى روّى عروق صلاح الدين ، وماتت الأمة التى

عليه ؛ وهنا نستطيع أن نقول إن الوطن القومى الحديث كان وليد الخصومة السامية (حركة العداء ضد اليهود) أكثر من أى عامل آخر ؛ وهذا أيضاً عامل مصطنع فى بنائه ؛ وإذا كان الوطن القومى قد أحرز فى فلسطين شيئاً من النجاح والتوسع من حيث الاحتشاد والاستثمار الاقتصادى ، فذلك يرجع قبل كل شىء إلى الأموال الطائلة التى تستثمرها الرأسمالية اليهودية ؛ والرأسمالية لا تعرف وطناً ولا ديناً ، ولا تعرف إلا الفوائد والمغانم المادية

والخلاصة أن الوطن القومى اليهودى يقوم على عوامل وأسس مصطنعة يكشف الزمن عن ضعفها شيئاً فشيئاً ؛ والزمن وحده كفيل بأن يبين لليهودية أن مشروع الوطن القومى والدولة اليهودية إنما هو حلم عظيم جاشت به أذهان بعض المتعصبين من أقطاب اليهودية ومفكريها ، وأنه لا يمكن أن يعتبر بوضعه الحاضر أكثر من مشروع اقتصادى تؤيده الحراب البريطانية ، فكل ما يحرزه من نجاح أو يصيبه من فشل يرجع إلى قواعد الاقتصاد العادية دون غيرها ؛ وما جامعة الدين التى تستظل بها اليهودية ، إلا طلاء السياسة ، وهى أضعف من أن تقيم فى عصرنا دولة أو وطنا

مؤرخ

أخرجته ، وعقمت النساء فلا يلدن شبيهه ؟ إن كل مسلم اليوم فى فلسطين صلاحُ الدين ، وكل بقعة فيها حطين !

***

ضربت عليهم الذلة والمسكنة : فالذهب فى صناديقهم والنظام جمعياتهم ، والرىّ والخصب فى أرضهم ، والسلاح فى أيديهم ، والانكليز من ورائهم ، ثم لا يثبتون ساعة واحدة لهؤلاء العزل الفقراء . . . ولا يقدرون أن يقفوا فى وجوههم ، ويرتجفون إذا سمعوا ذكر أسمائهم : « إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ » أهؤلاء الذين لا يستطيعون أن يمشوا فى الطرقات وحراب انكلترا تحميهم ، يستطيعون بعدُ أن يمسوا سدنة المسجد الأقصى وسادة فلسطين ، ويتملكوها — وحدهم — رغم أنف المسلمين أجمعين ؟ ولو نفخ عليهم المسلمون أربعمائة مليون نفخة لطيروهم ، ولو مالوا عليهم لطحنوهم ، ولو بصقوا عليهم لأغرقوهم ، ولو صرخوا فيهم لقتلوهم ؟

أهؤلاء الذين ما عرفهم التاريخ إلا مغلوبين ، يتحرشون بمن لم يعرفهم التاريخ إلا غالبين منصورين ، ومن حكموا الدنيا فكانوا نعم الحاكمين ، وعلموا العالم فكانوا خير معلمين ؟

***

إن معهم وعداً ، وإن معنا لوعداً : معهم وعد بلفور . ومعنا وعد الله : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا »

ولكنّ الله يمتحن إيماننا وصبرنا واتحادنا وتعاوننا ، وينظر أنجاهد فى سبيله بأموالنا وأنفسنا ، وننصر إخواننا ونكون فى توادنا وتراحمنا كالجسد الواحد ، إذا تألم عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر ، أم قد فرقت بيننا السياسة ، وباعدت بيننا الغير ، ومزقتنا الأهواء والمطامع ، فأمسينا ننام فى القاهرة ودمشق وبغداد على فرش الريش والديباج ، وإخواننا على شعفات جبال نابلس والقدس لا يغمض لهم جفن ، ونأكل الشواء والحلواء ، وإخواننا هناك قد لا يجدون ما يقوم بأودهم من الخبز ، ونبذر المال نقذف به إلى أوروبة ثمناً لهنات هينات ، فيصنعون منه مدافع تحصد إخواننا حصداً ، وبنادق تمزق صدورهم تمزيقاً ، وإخواننا لا يجدون ثمن الحاجات الضروريات ، ونلهو ونلعب آمنين مطمئنين ، وإخواننا فى فلسطين قائمون على حد السيف ، بين النار والحديد ؟

فيا إخواننا فى مصر والشام والعراق والحجاز والمغرب ، ويا إخواننا فى الهند والصين وأينما بلغت مقالتى هذه . . .

إن الله جل وعز يقول : «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» فهل أنتم مؤمنون مسلمون بجوارحكم وقلوبكم ، مخلصون لله فى أسراركم وأعلانكم ؟ أم أنتم مسلمون بالنسب والاسم وسجل الدولة ، لا تعرفون إلا أنفسكم ، ولا تبالون إلا بلذاتكم ، ولا تنظرون إلى أبعد من أنوفكم ؟

إذا كنتم مسلمين حقاً ، مؤمنين صدقاً ، تريدون أن ينصركم الله فانصروا فلسطين ما استطعتم ، انزعوا المال من أفواه عيالكم ، وأعناق بناتكم ، لتشتروا به حياة إخوانكم فى فلسطين ، اسهروا الليالى تتسقطون أخبارها ، وتعلمون علمها ، أمسكوا عن لهوكم وأفراحكم فلا تنفرج لكم سنّ حتى تنفرج أزمتها ، اجعلوا قضية فلسطين ، قضية كل واحد منكم . . .

أما أنتم يا إخواننا فى فلسطين :

فاصبروا وصابروا « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ، وَلِيُمَحِّصَ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ »

***

أما بعد ، فان حادثة فلسطين — ان هى تمت — فضيحة الدهر ، وعار على الانسانية ... ولكنها لن تتم بحول الله وقوته ثم بقوة المسلمين . . .

علی الطنطاوی

حماية الطالحـــين

بحث علمى اجتماعى

للأستاذ اسماعيل مظهر

فى أواسط القرن التاسع عشر أصابت العلم هزة من تلك الهزات العنيفة التى تغير مجرى الفكر ، وتقلب آيات العلم بعد أن يخيل إلى الناس أن المعرفة قد قامت على قواعدها الرسيسة ، رأساً على عقب . ففى سـنة ١٨٥٩ نشر العلامة شارلز روبرت دروين كتابه « أصل الأنواع » فأقام الحجة البالغة على أن الأنواع تنشأ فى الطبيعة بعضها منظور عن بعض على مر عصور متطاولة ، وأن نشوء الحياة من فوق الأرض موغل فى القدم

ولقد أقام دروين نظريته على ثلاث قواعد أولية ، هى التناحر على البقاء ، والانتخاب الطبيعى ، وبقاء الأصلح . أما التناحر على البقاء فاصطلاح مجازى يؤدى فى أوسع مدلولاته معنيين : فاما أنه يدل على العلاقة القائمة بين الأنواع الحيـة العائشة فى بيئة ما ، إذا ما اتجهت الأسباب العاملة على بقاء نوع إلى إبادة آخر أو إفنائه ، وإما أنه يدل على الجهد الذى يبـذله الأحياء فى سبيل الحصول على مقومات الحياة ، كمقاومة العوامل والمؤثرات الفنية للأفراد أو المبيدة للأنواع . أما الانتخاب الطبيعى فحصله أنه يبقى من أفراد الأنواع أو السلالات أقدرها على الحياة فى بيئة ما وأن تفنى غير القادرة منها على البقاء . ولما كانت القدرة على البقاء وتخليف المثل ، انما ترجع إلى صفات حيوية تتأصل فى الأحياء ، نشأ بالانتخاب الطبيعى تدريجياً على مر الأزمان سلالات وأنواع جديدة ممتازة بصفات معينة ثابتة . ونقصد باصطلاح بقاء الأصلح أن الأحياء تتكاثر بنسبة رياضيـة . أى بنسبة ٢ : ٤ : ٨ : ١٦ وهكذا ؛ فاذا لم يهلك معظم نتاجها بعوارض طبيعيـة ضاقت الأرض عن أن تسع الأحيـاء . ولذا لا يبقى من الأحياء إلا أصلحها أو أقدرها على البقاء ومقاومـة العوارض . وما « بقاء الأصلح » فى الواقع إلا اصطلاح يراد به إيضاح عمل الانتخاب الطبيعى المقتضى أن الأحياء التى هى أكثر صلاحية للبقاء فى بيئة طبيعية تظل حية لتنتج أمثالها ، فى حين يفنى غير الصالح منها

على هذه القواعد الثلاث شرع دروين مذهبـه الذى غير اتجاه العلم الطبيعى برمته فى أواسط القرن المـاضى . أما الذين اكبوا على دراسـة الاجتماعيات فقد تساءلوا : إذا كانت سنة الطبيعة الثابتـة تقضى ، لخير النوع وبقائه واحتفاظه بمستوى خاص من الحيوية والقـدرة على مجالدة الأعاصير والأعداء ، بأن يفنى الطالح من نتاجه وألا يبقى إلا الصالح ، فان المدنيـة الحديثة بما تحوط به الطالحين من أسباب الحماية من الهلاك والفناء ، إنما تقاوم سنة الطبيعة الثابتة ، تلك السنة التى تقضى بأحد أمرين : فاما هلاك يصيب الطالحين ليفوز الصالحون بتخليف النسل فيحتفظ النوع بحيويته وبمثله العليا من حيث القوة والجهد ، وإما فساد يصيب طبيعة النوع بالابقاء على الطالحين الذين يورثونه كل الصفات التى يدركها الاحيائيون بين الأطلح والأصلح

ولنضرب لذلك مثلاً نقتطعه من حالاتنا الاجتماعيـة . فلقد استطاع الفلاح المصرى أن يقاوم ثلاثة أشياء ، تسلط واحد منها على شعب غلت يد الطبيعة عن تزويده بمزايا الانتخاب الطبيعى ، كافية للقضاء عليه : فساد الحكومات ، والأمراض ، والحروب ، فلقد توالت على هذا الفلاح دورات من استبداد الحكومات منذ عهد الفراعنـة إلى الآن ، لا يروى تاريخ أية أمة من الأمم لها شبيهاً . وازدياد عدد السكان فى مصر الى عشرين مليوناً فى عصر من العصور الى ثلاثة ملايين فى عصر محمد على ، دليـل قاطع على عظم ما عانى هذا الشعب من عوامل الافناء وبرهان على ما فيـه من حيوية استمدها من البيئة الطبيعية ومن حالاته الماشية التى ظلت متروكة لحكم الطبيعة فيـه الآلاف من السنين . وليس لى هنا أن أتكلم فى الأمراض التى سكنت جسم هذا الفلاح منذ أقدم العصور وأخصها (البلهارسـيا) وقد استدل على وجودها بالموميات المحنطة من أقدم العصور : أما الحروب فيكفى أن تعرف أن الجيش المصرى حارب فى خمس وأربعين وقعـة تحت لواء قائدنا العظيم ابراهيم وحده فى فترة لا تزيد على ثلاثين عاماً . فما بالك بالعصور التى هدمت فيها الامبراطورية المصرية ثم بنيت على أكتاف هذا الفلاح منذ ستة آلاف خلون من الأعوام ؟

هذه الظاهرة تحملنا على أن نتساءل ما هو السر الذى جعل

هذا الفلاح على ما فى أسباب حياته من عوامل الافناء يصمد لعوادى الدهر والطبيعة فلا ينقرض ولا يبيد ، بل تراه اليوم وقد خرج من معارك التناحر على البقاء منصوراً ، وعلى ضفاف نيله المقدس سبعة عشر مليوناً يفلحون أرض مصر ويتطلعون الى أسمى المثل التى أوجدها التصور الديمقراطى الحديث ؟

قد يتفق أن يقول بعض الذين لا يقوون على وصل أسلوب التفكير العلمى بأسلوب التفكير الاستقرائى إن ذلك راجع الى صفات خص بها الشعب المصرى دون غيره من شعوب الأرض التى عاصرته . وقد يكون فى هذا الكلام بعض الحق ، فان للصفات الخلقية التى تتصف بها بعض الشعوب أثراً فى ذلك . ولكن إذا نظرنا فى الأمر من الوجهة الطبيعية الصرف ألفينا أن السبب راجع الى أن هذا الشعب قد ترك للطبيعة معرضاً لعواملها خاضعاً لقوانينها الحديدية منذ أبعد العصور . وظلت الطبيعة تتولى إنساله بالانتخاب الطبيعى فتفنى غير القادر منها على البقاء ، وتبقى فى حلبتها الصالحين للبقاء ، فاستطاعت بذلك أن تحفظ على هذا الشعب قدرا من الحيوية ظل ثابتاً على مدار العصور . وقد ترى هذا الفلاح اليوم بسحنته السفعاء وجسمه النحاسى ، فما تقرأ فيه من آية إلا آية الطبيعة خطت على ملامحه الهادئة ؛ أما وداعة أخلاقه وصبره واحتماله وحدة نظراته وذكائه الموروث ، فتحملك لأول وهلة إذا ما نظرت اليه أن تقول : هو ذا ابن من أبناء الطبيعة لم يدخل فى فطرته بعد شىء من تزوير المدنية

ولا شك عندى فى أن تزوير المدنية لابد من أن يدرك فلاحنا بعد عهد قصير . فقد علت الصيحة فى هذا العصر بوجوب النظر فى ترقية الفلاح اجتماعياً . أما إذا كان الذين يصيحون هذه الصيحة لا يقصدون بها إلا أن يخرج الفلاح من تلك البيئة التى نشأ فيها الى بيئة مزورة تدعوها المدنية ، بأن نغل يد الطبيعة عن أن تدرك منه أغراضها الانتخابية ، وأن نعمل على حماية أولئك الذين كتبت عليهم الطبيعة آية الفناء بأسباب اصطناعية ، فان ذلك سوف يكون أول عهد الفلاح بفقدانه الحيوية التى استمدها من الطبيعة على مدار العصور وعلى تتالى الأحقاب . ولم أدرس بعد كيف نستطيع أن نحمى فلاحنا من مفاسد المدنية التى تقضى بابعاده عن حكم الطبيعة فيه ، وإنما أقول إن كل اصلاح اجتماعى لا يعوض على الفلاح ما سوف يسلب من فعل الطبيعة ، اصلاح هو الى الفساد أقرب شىء

ولقد بحث هذا الشكل الاجتماعى فحول من معاصرى الاجتماعيين ، وزكىَّ بحوثهم فئة من كبار الاخصائيين فى أوروبا وأمريكا ، ولقد بان لهم بأجلى دليل أن الحماية المصطنعة التى حدَّ بها العلم من فعل الطبيعة فى الطالحين ، أى غير القادرين على البقاء فى البيئة الطبيعية ، لولا تلك الحماية ، سبب من أكبر الأسباب التى ولدت ما يظهر على أكثر شعوب الأرض من مظاهر الهرم والضعف الحيوى ، حتى لقد لجأت ألمانيا وغيرها من ولايات أمريكا المتحدة والجزر البريطانية التى تعقر طبقات خاصة من المجرمين والمتوهين والفاسدين توصلا الى طريقة عملية يعوضون بها على الأحياء شيئا مما فقدت بالحماية المصطنعة من فعل الطبيعة والخضوع لسننها الثابتة

من هذه البحوث بحث ألقاه لورد « دوصن Dawzan » فى الجمعية الطبية بمدينة يورك نشر بعنوان « الطب والتقدم الاجتماعى » تساءل فيه عما إذا كانت النزعة التى تنزع بنا الى حماية كل الأطفال الذين يولدون من قضاء الطبيعة فيهم ، مهما كانوا طالحين غير قادرين على البقاء بغير حماية فعلية ، أمراً مناقضاً لما ننشد من ارتقاء السلالات البشرية وخيرها فى مستقبل العصور . ففى خلال ستين عاما انخفضت نسبة الوفيات بين الأطفال من ١٥٦ فى الألف الى ٦٠ فى الألف ، ونزلت فى الأطفال الذين هم فوق الخامسة من ٦٨ الى ١٨ فى الألف ، وزاد عدد السكان فى خلال هذه (الفترة ١٨٧٠ – ١٩٣٤) خمسين فى المائة عما كان قبلا

على أننا نستطيع أن ندرس الظواهر التى تنشأ عن مثل هذه الحالات ، إذا رجعنا الى أنواع أخرى تعايشنا فى الطبيعة . فقد نرى أن الأنواع الأخرى ، غير النوع البشرى ، وغير الأنواع الداجنة التى يكثرها الانسان لأغراض له فيها ، تحتفظ بنسبة ثابتة فى الأعقاب ، أى فى تخليف النسل ، وأنه كلما أخذت نسبتها فى الزيادة العددية سلطت عليها الطبيعة عوامل تردها الى النسبة التى لا تسمح بأكثر منها ، فقد لحظ أن ازدياد عدد نوع من الأنواع يصحبه دائما ظهور أمرين : إما زيادة فى عدد الأنواع المفترسة ،

وإما ازدياد فى الأمراض . وفى هذه الحالة لا يبقى من أفراد الأنواع إلا أقدرها على البقاء وأصلحها لأعقاب نسل يرث ما فيها من صفات تمكن النوع من الاحتفاظ بذاته ، فاذا صدت الطبيعة عن أن تقضى فى نوع بحكمها هذا ، ترتب على هذا انحطاط يظهر فى أعقاب هذا النوع

والمثل على هذا عديدة ، نقتصر على ذكر مثالين منها ، فقد حدث أن حاول أهل سويسرا أن يحموا نسل حيوان يكثر فى جبالهم يدعى (الشموا) Chamois وهو فصيلة من الانعاميات Ungulata لها قيمة تجارية ، فأسروا عدداً منه فى داخل مكان متسع أحيط بكل أنواع الحماية ، وبخاصة من الذئاب التى هى أنكى أعداء هذا الحيوان . فكانت النتيجة المحتومة أن ظهر فى هذا النسل المأسور صفات انحطاطية بينة ، وكثر فيه عدد الأفراد المهزولة الضعيفة ، وبدت عليه كل علامات الانحلال الحيوى ، حتى اضطر المربون فى النهاية أن يدخلوا إلى مكان الأسر عدداً محدوداً من الذئاب المفترسة ، فوجدت هذه الذئاب فى الأفراد المنحطة فرائس يسهل اقتناصها ؛ وبعد قليل استعادت البقية الباقية كل الصفات المثالية التى يمتاز بها النوع فى مرابيه الطبيعية

أما فى زيلاندا الجديدة فقد تكررت هذه الظاهرة بينها ، والمعروف أن هذه الجزر من أمثل بقاع الأرض مناخاً وطبيعة لتربية الأنعام خاصة ، وذوات الثدى عامة ، ذلك بأنها خالية من الحيوانات المفترسة خلواً تاماً . فلما أن استوطنها الايقوسيون حسن لديهم أن يدخلوا إليها عدداً من الغزال الأحمر الذى يعيش فى جبالهم العليا ، فكانت لهذا الحيوان أمثل مباءة ، فتكاثر واكتنز لحماً ، ولكن بان لهم بعد قليل من الزمن أن النوع الذى جلب من أثيوبيا مملوء حيوية ، محتفظ بأسمى الصفات التى يتسم بها فى مرابيته ، قد ظهرت بينه أنواع انحرفت عن صفات النوع المثالية . فكانت أضعف بنية وأقل مقدرة على العدو ، وقد شوه منظرها الخارجى بصفات لم يكن لها من وجود فى أسلافها ، أما الدواء فكان إدخال عدد من الذئاب المفترسة القوية إلى الجزر ، كانت عدة الطبيعة فى القضاء على الطالحين من نسل هذا الحيوان ، فاستردت البقية الصالحة ، بعد فناء غيرها ، كل الصفات الحيوية التى يتصف بها النوع فى مرابيه

أمام هذه الحقائق أخذ المصلحون يفكرون فى تلك الوسائل التى يحاول بها دعاة المدنيـة والانسانية أن يصلوا من طريقها إلى حماية كل الأطفال الذين يولدون ، أليس فى الافراط فى اللجوء إلى هذه الوسائل معاندة للطبيعة بأن نكثر من نسل أناس يتصفون بالضعف الأدبى والعقلى والطبيعى ؛ مثلنا فى ذلك مثل أولئك الذين أرادوا أن يغالبوا الطبيعة فى تربية الشموا والغزال الأحمر ؟

وحجة الذين يميلون إلى الأخذ بالميول الانسانية فى مثل هذه البحوث العلمية ، أن نسبة الزيادة فى عدد السكان آخذة فى التناقص شيئاً بعد شىء ، وقد تقف عند حد خاص بعد زمن وجيز ؛ فلا سبب إذن للانزعاج والتشاؤم ؛ غير أن هؤلاء انما تغيب عنهم حقيقة رئيسية ، هى أن نسبة زيادة عدد السكان إن كانت قد أخذت فى النقص ، فانه نقص معكوس الآية ، فى منتصف القرن التاسع عشر كان التجار وأصحاب الحرف الفنية من ذوى الأسر العديدة الأفراد ، فى حين أن كبر أسرات رجال الدين كان مضرب المثل ، فاذا وعينا أن متوسط عدد أفراد الأسرة فى أمة تريد الاحتفاظ بكيانها لا ينبغى أن يقل عن أربعة أنفس ، ذاكرين أن هنالك أسراً قد تظل عقيما ، وأخرى تصاب بالثكل ، وعلمنا أن عدد الأسرة فى طبقتى الأطباء ورجال الدين لا يزيد عن اثنين ، علمنا أن اطراد النقص فى عدد السكان انما هو اطراد عكسى . ذلك بأن هذه النسبة تقيد الطبيعة من ناحيتين : الأولى اعقاب النسل بالنسبة الطبيعية ؛ والثانية عدم تزويد الطبيعة بمادة للانتخاب ، اذ تغربل الناتج لتبقى على الأصلح

هذه هى الحالات التى يقع تحت سلطانها انسان القرن العشرين ، فهل من سبيل إلى اتقائها ؟ يقول لورد « دوصن » إن اتقاءها مرهون على شرطين : الأول نشر المعلومات التى تتعلق بضبط النسل : والثانى التعقير الاختيارى . أما الشرط الأول ، وهو شرط قد تحقق منه شطر عظيم بذيوع الوسائل التى تضبط النسل ، فان عليه اعتراضاً ذا خطر عظيم ، هو أن الذين يجنحون إلى ضبط النسل إنما هم أولئك الذين تعتبرهم زهرة المجتمع الانسانى من أصحاب العقول الراجحة والمزايا الفذة ، فى حين أن غيرهم من الطبقات الدنيا والطالحين يتناسلون جهد ما تبلغ استطاعتهم . وفى ذلك مشكل هو بذاته أنكى من حماية غير القادرين على البقاء بالطرق الاصطناعية . فان قلة نسل الأولين وازدياد نسل الآخرين مفسدة سوف تسرع ببعض الجماعات إلى درجة من الانحطاط

قصـــة المـكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

الحصانة واليهودى الأفّاق

— ٢ —

كانت كشوف بستور وكوخ قد شاعت فى الناس فثاروا لها جنوناً ، فكان لا هم لهم الا بها ، ولا حديث الا فيها ، فلما جاء عام ١٨٨٣ انقلب متشنيكوف من باحث طبيعى Naturalist الى صائد مكروب ؛ وكان قد خاصم رجال السلطة فى جامعة أودسّا ، فترك الجامعة وذهب الى جزيرة صقلية ، وصحب معه زوجته أُلجا وإخوتها ؛ فلما حلوا جميعاً بها اتخذوا لأنفسهم فيها منزلاً صغيراً ذا طابق واحد يطل على المياه اللازوردية لشاطىء كلَبرية [١] ، وفى حجرة الجلوس هيأ متشنيكوف لنفســه معملاً مرتجَلاً . وأوحت اليه نفسه بأن الشىء الرائج عندئذ فى العلوم هو علم المكروب ، فأخذ يحلم الأحلام ويأمل الآمال عن كشوف خطيرة لمكروبات جديدة يكتشفها ، وكان يلذّ له العمل أيضاً فيها لذةً صدق ؛ ولـكنه لم يكن يدرى من طرائقها الخدّاعة شيئاً ، بل قل انه لم يكن رأى مكروبة واحدة ؛ وطال تجواله فى حجرة الجلوس هذه يشرح لألجا نظريات علم الحياة تارة ، أو هو يدرس نجوم البحر [١] Starfish وأسـفنجياته تارة ، أو هو يحكى الحكايات لأخوة أُلجا واخواتها ، واختصاراً كان يفعل كل شىء لا يمُتُّ بصلة الى تلك الأبحاث الجيدة التى قام بها كوخ وبستور

وذات يوم أخذ يدرس كيف تهضم الأسفنجيات ونجوم البحر أطعمتها ، وكان قبل ذلك عثر فى داخل هذه الأحياء على خلايا غريبة هى بعض أجسام هذه الأحياء ، ولـكنها مع ذلك تدور فيها دوران الحر الطليق ، وكانت هذه الخلايا الأفاقة التائهة تسبح فى مجاريها كما تسبح الخلايا الأشهر المعروفة بالأميبا Amoepa تضرب ببعض جسمها الرخو قُدُماً فى سائل الجسم ، فاذا برز منه ما يشـبه اللسان جرّ ما تخلف من الجسم وراءه

وجلس متشنيكوف من بيته فى غرفة الجلوس ، وقعد إلى المنضدة وجاء بعلقات [٢] من نجوم البحر ، وأدخل فى أجسامها شيئاً من صبغة الـكرمين Carmine [٣] ، وجاهد فى ادخالها جهاد الرجل الذى لا تستطيع يداه مجاراة عقله ، وضاق بهذه التجربة صدره للذى عانته أصابعه الثقيلة فى إجرائها ؛ وكانت تلك فكرة بارعة من بنات أفكاره الحسان ، لأن هذا العَلَق شفّاف كالزجاج ، فكان فى استطاعة صاحبنا أن يتتبع بعدسته ما يجرى فيه ، ونظر فوجد تلك الخلايا الأفّاقة الطليقة تسبح إلى حبّات صبغته ، فاذا بلغتها التهمتها التهاماً ، ففرح وطَرِب ، وخال متشنيكوف الى تلك الساعة أنه يدرس كيف يهضم نجم البحر طعامه ؛ ولـكن طافت فى حواشى فكره أشباح من افكار جديدة يتضاءل الى جانبها موضوع الهضم تضاؤلاً كبيراً ، أفكار رائعة مبهمة لا تتصل بمبحَث الهضم من قريب أو بعيد

وفى الغد ذهبت أُلجا بالأطفال إلى السرك circnus يشهدون ألعاب قردة بارعة التمثيل ؛ وبقى متشنيكوف حيث هو من غرفـة الجلوس وعلى وجهه لحية كلحية القديسين ؛ وقد أخذ يشدّ شعراتها شدا ؛ وقد أخذ ينظر الى نجم البحر فى مائه بوعائه . ولـكن لا يرى منه شيئاً . وفى ساعة قصـيرة جرى له مثل الذى جرى للقـديس بولص وهو فى طريقه الى دمشق لما شعّ فى وجهه ذلك النور الباغت فأعماه . نعم فى ساعة قليلة ،

---

(١) المقاطعة الايطالية السفلى التى فى مقابلة مسينا

(١) نوع من السمك ذو جسم فيه رخاوة تشع منه أذرع كالمثلثات ، عدده فى الأغلب خمسة فصورته كالصورة التقليدية للنجم

(٢) صغار السمك قبل أن يتم خلقه (٣) صبغ أحمر

يخشاها المصلحون ، أما التعقير الاختيارى فلا يعقل أن يكون دواء ناجعاً . ذلك بأن التعقير تشويه طبيعى لا يرضى به إلا اقلية من الناس لا يعتد بهم إذا قيسوا الى مجموع الأمة

ولست أرى أن فى هذين الأمرين منجى من الأخطار التى تحيق بالجماعات فى هذا الزمان ، ولا بد للمفكرين الذين يرغبون فى خير الانسانية ، ويودون أن يحتفظ النوع الانسانى بصفاته الرئيسـية ، أن يقوموا على علاجات أخرى تكون ناجعـة فى التعويض عن فعل الطبيعـة فى الانتخاب مع فرض الحماية على المواليد أياً كانوا ومن أى طابع خرجوا الى هذه الدنيا

اسماعيل مظهر

في دقيقة قصيرة، في ومضة برق، أو لحظة عين نزل الوحي على متشنيكوف فتغيّر بغتة مجرى حياته

« إن هذه الخلايا الآفاقة التوّاهة في أجسام نجوم البحر تأكل الطعام وتلتهم حبّات الصبغة — إذن هي لابد تأكل المكروبات أيضاً. وفي أجسامنا نحن، في دمائنا نحن، لابد أن كراتنا البيضاء هي التي تلتهم الجراثيم فتحمينا من غوازيها .. إن هذه الكرات البيضاء هي سبب حصانتنا من العدوى . . . إنها هي التي تقي الجنس البشريّ من فناء سريع تحمله اليه أجناس البشلاّت »

وهكذا، وبدون أي دليل، وبدون محاولة أي تجربة، قفز متشنيكوف هذه القفزة الكبرى من هضم نجم البحر الى أدواء الانسان

كتب في مذكراته: « وبغتةً وجدت نفسي قد انقلبتُ عالِمَ أمراض Pathologist . وهذا انقلاب كبير لا يَعْدِلهُ إلاّ انقلاب زمّار الى فلكيّ . وكتب « وأحسست أن هذه الفكرة ستتمخض عن أمر كبير الخطورة، فاضطربت نفسي واهتاجت فأخذت أغدو في الغرفة وأروح حتى لَذَهبت الى شاطئ البحر أستجمع فكري » . وكتب: « وقلت لنفسي لو صحّت هذه النظرية إذن لتوقعت إذا أنا أدخلت فلقة خشب في نجم البحر أن تتجمع هذه الخلايا الآفاقة حول الفلقة دفعاً للسوء الطارئ . » وذكر بهذا أن الرجل تدخل في إصبعه الشوكة فينسى أن ينتزعها فلا تلبث أن تتجمع حولها المِدّة والقيح وما هما الا طوائف من الخلايا البيضاء التي تطوف في دم الانسان . ذكر هذا بهذا فهرول إلى الحديقة التي وراء بيته، الى شجيرة ورد كان ذوقها وزخرفها من أجل إخوة أُولجا ليحتفلوا بها في عيد الميلاد، وانتزع منها بعض شوكها، وعاد بالشوكات الى معمله، وما هو بالعمل، وشكها جميعاً في جسم أحد نجوم البحر وكان شفافاً كالماء.

وما طلع فجر الغد حتى استيقظ وقد امتلأ قلبه بكل أمل بعيد، ولم يتمهل بعد يقظته طويلاً حتى عرف أن ظنه أصاب، وأن خيال الأمس أصبح حقيقة اليوم . نظر الى شوكات الورد فوجد طوائف عدة من تلك الخلايا الأفاقة التائهة قد ازدحمت حولها وأخذت تتماوج في كثرتها وبطء حركتها . وكان فيما رأى الكفاية لاقناعه بأنه وجد تفسيراً للحصانة من جميع الأمراض، وعادته في الطفرة الى الاستنتاجات السريعة معروفة مشهورة . وخرج في هذا الصباح يخبر مشاهير أساتذة أوروبا بالذي وجده، وكانوا اجتمعوا اتفاقاً بمدينة مسينا Messeina على القرب منه، وقال لهم: « هذا هو السبب الذي من أجله يصمد الانسان لنائلة المكروبات » . وانطلق لسانه حديداً فصيحاً يشرح لهم كيف حاولت خلاياه التواهة أن تأكل الشوك أكلا لما، واستطاع أن يريهم تلك التجربة الجميلة مصداقاً لدعواه فصدقه العلماء، حتى ذلك العالم الجليل المخوف الأستاذ الدكتور فرشو Virchow آمن به وقد كان سَخِر بكوخ Koch لما أتاه (1)

ومن هذا اليوم دخل متشنيكوف في زمرة صُياد المكروب

— ٣ —

ثم ترك أُلجا والأطفال وراءه يعيشون وخدمهم على قدر ما يستطيعون، وذهب الى فينّا Vienna ليعلن من فوق منبرها أن الانسان حصين من الجراثيم لأن بدمه كريات بيضاء تائهة عملُها بلعُ هذه الجراثيم . وذهب تواً الى معمل صديقه القديم الأستاذ كِلاوُس Claus، وكان عالم حيوان، وكان يجهل من أمر المكروب بقدر ما جَهِل متشنيكوف، كذلك أُعجب بالذي سمعه وقال لصديقه الضيف . « انه ليسرني ويشرفني كثيراً أنْ تنشر نظريتك في مجلتي »

فقال متشنيكوف: « ولكن لا بد لي من اسم علمي لهذه الخلايا التي تلتقم المكروبات، أعني اسماً اغريقياً، فأي الأسماء تقترح ؟ »

فرفع الأستاذ يده الى رأسه يحكّها، وحكّ الجهابذة العلماء رؤوسهم معه، ونظروا المعاجم ثم أخبروه أخيراً: « ان الكلمة المثلى هي فجوسه Phagocyte، ومعناها بالاغريقية الخلية الملتهمة فهي اذن ضالّتكَ التي تنْشُد »

فشكرهم متشنيكوف، وأخذ هذه الكلمة وعلقها في أعلى ساريته، ثم حل القلاع ومخر بسفينه بحار حياته المضطربة، وهذه الكلمة دينه، وبهذه الكلمة يفسر كل شيء، وهي صرخته في حربه وفي سلمه، وهي أداة عيشه وآلة رزقه . وصدّقني أو كذّب لقد كان لهذه الكلمة نصيب كبير في حفزنا إلى دراسة ما هي الحصانة . ومن هذه الساعة أخذ متشنيكوف يبشر بالفجوسات ويذيع من أمرها كل جميل، ويدفع عنها مقالة السوء، وأجرى

(1) راجع ترجمة كوخ

عليها أبحاثاً لما خطرها ، وعادى فى سبيلها ، ولا شك أنه بذلك أدّى نصيبه فى إحداث الحربَ العالمية الكبرى حرب عام ١٩١٤ عما عكّرت جملاته الشديدة ما بين فرنسا وألمانيا من مودّة لم تكن كثيرة الصفاء أبداً

وذهب من فينا الى أودسا ، وهناك ألقى خطاباً عظيما فى « القوّات العلاجية للكائن الحى » ، فدهش أطباء هذا البلد مما قال وأعجبوا به إعجاباً كبيراً ، فقد كان القاؤه غاية فى الأبداع ، وحرارة قلبه لا تدع للسامع شكا فى إخلاصه ، ولكن لا يوجد فى السجلات ما يفهم منه المطالع أنه أخبر جمهرة الأطباء بهذا البلد أنه لم يكن رأى إلى هذا العهد كرة دموية بيضاء واحدة تلتهم مكروبة واحدة من مكروبات الوباء . إن الناس جميعاً — ومنهم الأطباء العلماء — لا تقع أبصارهم على كلبين يتشاجران حتى تستوقفهم تلك الحرب الصغيرة فيتجمعون حولها إرواء للطبيعة وانتظاراً لعلم من تكون له الغلبة ، وكذلك كان الحال فى أمر متشنيكوف فان حكاية تلك الحروب الطاحنة الدائمة المتواصلة بين الفجوسات الجريئة الباسلة ، وهى تنهض إلى الثغور تدفع غزوة تلك المكروبات العادية القاتلة ، تلك الحكاية أثارت شوق الناس فأرهفت آذانهم لاستماع ، وفتحت قلوبهم لاقتناع

ولكن متشنيكوف عرف أنه لا بد له من البحث عن حقائق ذات بال تقوم دليلاً على الذى يقول ؛ ولم يطل به الزمن حتى وجدها بيّنة كالشمس رائقة كالبلور ، وذلك فى براغيث الماء[1] . ومضت عليه فترة من الزمن نسى فيها الخطابة ، وعكف فيها على صيد هذه البراغيث من البرك ومرابى الأسماك . وكان اختيارا عبقرياً أوحى اليه به لا شكّ شيطانه ، فهذه البراغيث كانت كمَلَق نجوم البحر شفافة ، فاستطاع بعدسته أن يرى ما يجرى فى داخلها ، وأخذ يبحث فى جَلَد شديد عن داء يكون فى هذه البراغيث ، وجاءه صبرٌ نادر على غير انتظار ، فعَمِل طويلاً ، وبحث كما يبحث البحّاثة القُحّ وقليلا ما كانه

لعلك أيها القارئ أدركت من تاريخ المكروبات هذا أن الباحث كثيراً ما يعتزم البحث عن شىء فيبدأ بحثه فلا يلبث به طويلا حتى تقوده الطريق إلى أمور غير التى طلبها أولاً ؛ على أن هذا لم يكن من قِسمة صاحبنا ؛ فانه أخذ يرقب هذه البراغيث تضرب فى حياتها العادية ضرباً غير ذى غاية ولانهاية . فلم يلبث أن رآها من خَلَل عدسته تبتلع بزور خمائر فيها خطر على حياتها . وكانت بزوراً حادة كالأبر . فلما بلغت إلى ما يشبه المعدة من البرغوث نفذت فيه وأخذت تسير انزلاقا فى جسمه . هنا رأى متشنيكوف ما خصّته الأقدار برؤيته . هنا نظر ما أتحفته الحظوظ الطبية بنظرته : سارت خلايا البرغوث الأفّاقة التوّاهة : تلك الفَجُوسات التى تقى الجسم شرّ الدخيل ، سارت نافرة إلى تلك البزور الفاتكة العادية ، فتجمعت حولها ، وحلّقت عليها . فأذابتها ، وأكلتها أكلا ، وهضمتها هضما ...

ومما زاد نظريته ثبوتاً ، أن بعض البراغيث كانت تتخاذل فَجُوساتها أحياناً عن النفر الى العدوّ الغازى ، فكانت بزور تلك الخمائر تستقر فى جسم البرغوث فتتنفس عن خمائر حية ناشطة تتكاثر تكاثرا ذريعاً فتسمم البرغوث فتقتله ثم هى تأكله

أطلّ متشنيكوف من خلال عدسته على هذه المعارك الجليلة تدور رحاها فى هذه الميادين الصغيرة فعرف أول عارف سرّاً من أسرار الطبيعة خبأته عن الناس زمانا طويلاً ، عرف كيف تدفع بعض الخلائق عن نفسها غائلةً لو قعدت عنها لكانت قاتلة . وقد كان صادقا فى الذى رآه ، وقد كان بارعا موفّقاً فى الطريق الذى سلكه ، فأنىّ يخطر على بال امرىء أن يبحث عن علّة الحصانة فى مخلوق غريب بعيد كل البعد عن أذهان الناس كبرغوث الماء . وقنع بالذى وجد من بحثه ، وآمن كل الايمان بنظريته فلم يتابع دراسة تلك المعارك التى كان يقضى فيها كوخُ السنوات العديدة لو أنه اتفق له منها ما اتفق لمتشنيكوف . وأخيراً نشر مقالة نمّت عن علم جم وفضل كثير قال فيها : « إن حصانة براغيث الماء ترجع الى فُجَوساتها ، وهى مَثَل للأسلوب الطبيعى فى الوقاية من الوباء ... فان بزرة الخميرة اذا لم تتلقها خلايا الجسم التوّاهة الدّفاعة فتبتلعها عند نفاذها فى الجسم ، استطاعت تلك البزرة أن تنبت الخميرة واستطاعت هذه أن تتكاثر وأن تفرز سماً لا يصد خلايا الجسم الدافعة فحسب ، بل يقتلها ويذيبها كما يذوب الملح فى الماء »

(يتبع) احمد زكى

(١) تطلق على أصناف من الحيوانات القشرية التى تعيش فى الماء وقد يبلغ طولها عشر البوصة وقد يبلغ جزءاً من المائة منها ، وهى شفافة الجسم فتتراءى أحشاؤها واضحة تحت المكرسكوب . وهى تسير فى الماء قفزا كالبرغوث « المترجم »

أعلام الإسلام

٢ ـ سَعِيد بنُ المسَيِّب

للأستاذ ناجى الطنطاوى

ضربه وحبسه

قال عبد الله بن جعفر وغيره : استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهرى على المدينة ، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب : لا : حتى يجتمع الناس ، فضربه ستين سوطاً ، فصاح به سعيد والسياط تأخذه : والله ما ربعت على كتاب الله ، يقول الله : انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وإنك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، وما هى إلا ليالٍ فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره . فما مكث إلا يسيرا حتى قتل ابن الزبير . وروى أن ابن الزبير لما بلغه ضرب ابن المسيب كتب إلى جابر يلومه ويقول : ما لنا ولسعيد ؟ دعه

وقال يحيى بن سعيد : كتب والى المدينة إلى عبد الملك بن مروان : إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان [١] إلا سعيد بن المسيب . فكتب أن اعرضه على السيف ، فان مضى وإلا فاجلده خمسين جلدة ، وطف به أسواق المدينة [٢] . فلما قدم الكتاب على الوالى ، دخل سليمان بن يسار ، وعروة بن الزبير ، وسالم بن عبد الله ، على سعيد بن المسيب ، فقالوا : إنا قد جئناك فى أمر : قد قدم فيك كتاب من عبد الملك بن مروان إن لم تبايع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً ، فاعطنا إحداهن ، فان الوالى قد قبل منك أن يقرأ عليك

(١) عقد عبد الملك لابنيه بالعهد بعد موت عبد العزيز بن مروان بمصر سنة ٨٤

(٢) روى رجاء أن عبد الملك كتب اليه : مالك ولسعيد ؟ ما كان علينا منه شىء نكرهه ، فأما إذ فعلت فاضربه ثلاثين سوطاً وألبسه التبان وأوقفه للناس لئلا يقتدى به الناس . وفى رواية أن هشاماً ضرب ابن المسيب من غير أن يستأذن عبد الملك فى ضربه

الكتاب فلا تقل « لا » ولا « نعم » ، قال : فيقول الناس بايع سعيد بن المسيب ؛ ما أنا بفاعل . (قال) : وكان إذا قال : لا ، لم يطيقوا عليه أن يقول نعم . قال : مضت واحدة وبقيت اثنتان . قالوا : فتجلس فى بيتك فلا تخرج إلى الصلاة أياماً ، فانه يقبل منك إذا طلبت فى مجلسك فلم يجدك . قال : وأنا أسمع الأذان فوق أذنىّ : حىّ على الصلاة ، حىّ على الفلاح ؟ ما أنا بفاعل . مضت اثنتان وبقيت واحدة . قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره ، فانه يرسل إلى مجلسك فان لم يجدك أمسك عنك . قال : فرقاً لمخلوق [١] ؟ ما أنا بمتقدم لذلك شبراً ولا متأخر شبراً . فخرجوا وخرج إلى الصلاة ، صلاة الظهر ، فجلس فى مجلسه الذى كان يجلس فيه ، فلما صلى الوالى بعث اليه فأتى به ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين [٢] فلما رآه لا يجيب أخرج الى السدة فمدّت عنقه وسلّت عليه السيوف ، فلما رآه قد مضى أمر به فجرّد ، فاذا عليه تبّان شعر فقال : لو علمت أنى لا أقتل ما اشتهرت بهذا التبّان [٣] ، فضربه خمسين سوطاً ثم طاف به أسواق المدينة ، فلما ردّه [٤] والناس منصرفون من صلاة العصر قال : إن هذه لوجوه ما نظرت اليها منذ أربعين سنة

وروى أن سعيداً لما جرّد ليضرب ، قالت له امرأة : إنّ هذا لمقام الخزى ، فقال لها سعيد : من مقام الخزى فررنا

وقال قتادة : أتيت سعيد بن المسيّب ، وقد ألبس تبّان شعر وأقيم فى الشمس فقلت لقائدى : أدننى منه فأدنانى منه ، فجعلت أسأله خوفا من أن يفوتنى وهو يجيبنى حسبة والناس يتعجبون

(١) لعلها : من مخلوق

(٢) وروى أنه قال : لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فقيل ادخل من الباب واخرج من الآخر قال : والله لا يقتدى بى . وفى رواية أنه قال : لاأبايع وعبد الملك حى

(٣) وقيل إن هشاما ألبسه التبان وطاف به حتى بلغ رأس الثنية ، فلما كروا به قال : أين تكرون بى قالوا : إلى السجن . قال : والله لولا أنى ظننت أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبداً ، فرده إلى السجن وحبسه . وفى رواية أن الأيليين (نسبة لأيلة) الذين كانوا فى شرطة المدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس التبان طائعا فقلنا له : يا أبا محمد ، إنه القتل فاستر عورتك فلبسه ، فلما ضرب قلنا له : إنا خدعناك . قال : يا معجلة أهل أيلة ، لولا أنى ظننت أنه القتل ما لبسته (٤) إلى السجن

وقال عبد الله بن يزيد الهذلي : دخلت على سعيد بن المسيّب السجن ، فاذا هو قد ذبحت له شاة ، فجعل الاهاب على ظهره ، ثم جعلوا له بعد ذلك قضباً (١) رطباً ، وكان كلما نظر الى عضديه قال : اللهم انصرني من هشام

وقال أسلم أبو أمية مولى بني مخزوم وكان ثقة : صنعت ابنة سعيد بن المسيّب طعاماً كثيراً حين حبس ، فبعثت به اليه ، فلما جاء الطعام دعاني سعيد فقال : اذهب الى ابنتي فقل لها : لا تعودي لمثل هذا أبداً ، فهذه حاجة هشام بن اسماعيل ، يريد أن يذهب مالي فأحتاج الى ما في أيديهم وأنا لا أدري ما أحبس ، فانظري الى القوت الذي كنت آكل في بيتي فابعثي اليّ به ، فكانت تبعث اليه بذلك ، وكان يصوم الدهر

وقال قتادة عن سعيد بن المسيّب إنه كان إذا أراد الرجل أن يجالسه قال : إنهم قد جلدوني ، ومنعوا الناس أن يجالسوني

وقال عبد الله بن جعفر وغيره : كتب هشام بن إسماعيل إلى عبد الملك بن مروان يخبره بخلاف سعيد بعد أن وضعه في السجن وما كان من أمره ، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به ويقول : سعيد كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنا لنعلم ما عند سعيد شقاق ولا خلاف (٢)

وقال الواقدي : كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره أن يقف هشام بن اسماعيل للناس ، وكان فيه سيء الرأي ، فدعا سعيد ابنه ومواليه فقال : ان هذا الرجل يوقف للناس أو قد وُقف فلا يتعرض له أحد ، ولا يؤذه بكلمة ، فانا سنترك ذلك لله وللرحم ، فان كان ما علمت لسيء النظر لنفسه فأما كلامه فلا أكلمه أبداً !

وقال عمران : كان لسعيد بن المسيب في بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه ، فكان يدعى إليها فيأبى ويقول : لا حاجة لي فيها حتى يحكم الله بيني وبين بني مروان !

معاملته للخلفاء والولاة

قال علي بن زيد : قيل لسعيد بن المسيب : ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ، ولا يحركك ، ولا يؤذيك ؟ قال : والله لا أدري إلا أنه دخل ذات يوم مع ابنه المسجد ، فصلى صلاة ، فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها ، فأخذت كفاً من حصى فحصبته به ، زعم أن الحجاج قال :

ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة

وقال عمران بن عبد الله بن طلحة بن خلف الخزاعي : حجّ عبد الملك بن مروان ، فلما قدم المدينة فوقف على باب المسجد ، أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه ؛ قال : فأتاه الرسول وقال : أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك ، فقال ما لأمير المؤمنين الى حاجة ، وما لي إليه حاجة ، وإن حاجته إلى لغير مقضية ! قال : فرجع الرسول إليه فأخبره فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال له سعيد ما قال له أولاً . فقال له الرسول : لولا أنه تقدم الى فيك ما ذهبت اليه إلا برأسك . يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول له مثل هذه المقالة ؟ ! فقال : إن كان يريد أن يصنع بي خيراً فهو لك ، وان كان غير ذلك فلا أحل حبوتي حتى يقضي ما هو قاض . فأتاه فأخبره فقال : رحم الله أبا محمد ، أبى الا صلابة

وقال عمرو بن عاصم : لما استخلف الوليد بن عبد الملك ، قدم المدينة فدخل المسجد فرأى شيخاً قد اجتمع الناس عليه ، فقال : من هذا ؟ فقالوا سعيد بن المسيّب ؛ فلما جلس أرسل اليه فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : لعلك أخطأت باسمي أو لعله أرسلك الى غيري ! قال : فأتاه الرسول فأخبره ، فغضب وهمّ به ، قال : وفي الناس يومئذ بقية ، فأقبل عليه جلساؤه فقالوا : يا أمير المؤمنين فقيه أهل المدينة ، وشيخ قريش ، وصديق أبيك ، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه . قال : فما زالوا به حتى أضرب عنه

وقال ميمون بن مهران : قدم عبد الملك بن مروان المدينة ، فامتنعت منه القائلة واستيقظ ، فقال لحاجبه : أنظر هل في المسجد أحد من حداثنا من أهل المدينة ؟ فخرج فاذا سعيد بن المسيّب في حلقة له ، فقام حيث ينظر اليه ، ثم غمزه وأشار اليه بأصبعه ثم ولى ؛ فلم يتحرك سعيد ولم يتبعه . فقال : ما أراه فطن ، فجاء فدنا منه ثم غمزه وأشار اليه وقال : ألم ترني أشير اليك ؟ قال :

(١) القضب : الرطبة (وهي الفصفصة) وقيل كل نبت اقتضب فأكل طريا (٢) وروى أن هشاماً جاءه كتاب من عبد الملك بن مروان يلومه في ضربه سعيد بن المسيب ويقول : ماضرك لو تركت سعيداً وملك ما قال ؟ فندم هشام بن اسماعيل على ما صنع بسعيد فخلى سبيله

وما حاجتك ؟ قال : استيقظ أمير المؤمنين ، فقال : أنظر فى المسجد أحد من حداثى ، فأجب أمير المؤمنين ، فقال ، أرسلك الىّ ؟ قال : لا ، ولكن قال اذهب فانظر بعض حداثنا من أهل المدينة ، فلم أر أحدا أهيأ منك . فقال سعيد : اذهب فأعلمه أنى لست من حداثه ! فخرج الحاجب وهو يقول : ما أرى هذا الشيخ إلاّ مجنونا ! فأتى عبد الملك فقال له : ما وجدت فى المسجد إلا شيخاً أشرت اليه فلم يقم ، فقلت له إن أمير المؤمنين قال انظر هل ترى فى المسجد أحداً من حداثى فقال : إنى لست من حداث أمير المؤمنين . وقال لى : أعلمه ، فقال عبد الملك : ذاك سعيد بن المسيّب ، فدعه

وقال هشام بن عروة : لما تزوج الحجاج ، وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أتى رجل سعيد بن المسيب فذكر له ذلك ، فقال . إنى لأرجو ألا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا داع بذلك وابتهل ؛ وعسى الله ؛ فان أباها لم يزوج إلا الدراهم ، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد الى الحجاج وكتب اليه يغلظ له ويقصر به ويذكر تجاوزه قدره ، ويقسم بالله لئن هو مسّها ليقطعنّ أحبّ أعضائه اليه ، ويأمره بتسويغ أبيها المهر ، وبتعجيل فراقها ، ففعل فما بقى أحد إلاّ سره ذلك

وقال المطلب بن السائب : كنت جالساً مع سعيد بن المسيب فى السوق فمرّ بريد لبنى مروان ، فقال له سعيد : من رسل بنى مروان أنت ؟ قال : نعم . قال : كيف تركت بنى مروان ؟ قال : بخير . قال : تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب ! فاشرأبّ الرسول ، فقمت اليه فلم أزل أرجيه حتى انطلق فقلت لسعيد : يغفر الله لك ، تشيط بدمك ؟ فقال : أسكت يا أحيمق ! فو الله لا يسلّمنى الله ما أخذت بحقوقه

وقال صالح بن كيسان : حجّ الوليد بن عبد الملك ، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منه ، فما ترك فيه أحد ، وبقى سعيد بن المسيّب ما يجترىء أحد من الحرس أن يخرجه ! وما عليه إلا ريطتان ما تساويان إلا خمسة دراهم فى مصلاه . فقيل له : لو قمت ، قال : والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه . قيل : فلو سلّمت على أمير المؤمنين . قال : والله لا أقوم إليه ! قال عمر بن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال : من ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيّب ؟ فجعل عمر يقول : نعم يا أمير المؤمنين ، ومن حاله ، ومن حاله ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه فدار فى المسجد حتى وقف على القبر ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فو الله ما تحرك سعيد ولا قام ! فقال : بخير والحمد لله يا أمير المؤمنين . قال الوليد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقية الناس . فقلت : أجل يا أمير المؤمنين

رفضه أخذ العطاء

قال عمران بن عبد الله : كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ولا شيئاً ، وربما عرض عليه الأشربة فيعرض فليس يشرب من شراب أحد منهم

وقال العجلي وغيره : كان لا يقبل جوائز السلطان [1] ، وله أربع مائة دينار يتّجر فيها بالزيت وغيره

(يتبع) ناجى الطنطاوى

(١) وقد مر أنه كان له فى بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه كان يدعى إليه فيأبى ويقول : لاحاجة لى فيها ، حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

اشتغال العرب بالأدب المقارَن

أو ما يدعوه الفرنج « littérature comparée »

فى كتاب تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر

لفيلسوف العرب أبى الوليد بن رشد

[تتمة المنشور فى العدد الماضى]

— تلخيص وتحليـــل —

للأستاذ خليل هنداوى

بحث فنى فى التخيلات والمعانى والألفاظ والأجزاء

وقد بحث فى ماهية الأوزان ، فجعل من المعانى والتخيلات ما تناسبه الأوزان الطويلة ومنها ما تناسبه القصيرة ؛ وربما كان الوزن مناسباً للمعنى غير مناسب للتخييل ، وربما كان الأمر بالعكس ، وربما كان غير مناسب لكليهما . على أن أمثلة هذه مما يعسر وجوده فى أشعار العرب إذ تكون غير موجودة فيها ، إذ أعاريفهم قليلة القدر ، وألفاظ الشعر يجب أن تؤلف من الأسماء المبتذلة ومن الأسماء الأخر يعنى المنقولة الغريبة المغيرة واللغوية ، لأنه متى تعرى الشعر كله من الألفاظ الحقيقية كان رمزاً ولغزاً . ويجب أن يكون الشاعر حيث يريد الايضاح وألا يخرج إلى حد الرمز كما لا يفرط فى الأسماء المبتذلة فيخرج عن طريقة الشعر إلى الكلام المتعارف . وأماموافقة الألفاظ بعضها لبعض فى المقدار ، ومعادلة المعانى بعضها لبعض ، وموازنتها ، فأمر يجب أن يكون عاماً ومشتركاً لجميع الألفاظ . وقد يستدل على أن القول الشعرى هو المغير أنه إذا غير القول الحقيقى سمى شعراً وقولاً شعرياً ووجد له فعل الشعر ، مثال ذلك قول القائل :

ولما قضينا من مِنًى كلَّ حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

وإنما صار هذا شعراً من قبيل أنه استعمل بيته الأخير بدل قوله « تحدثنا ومشينا » ، وكذلك قوله : « بعيدة مهوى القرط » إنما صار شعراً لأنه استعمله بدل قوله : « طويلة العنق » وكذلك قول الآخر :

يا دار أين ظباؤك اللعس ، ... قد كان لى فى إنسها أُنس

إنما صار شعراً لأنه أقام الدار مقام الناطق وأبدل لفظ النساء بالظباء ، وأتى بموافقة الانس والأُنس . وأنت إذا تأملت الأشعار المحركة وجدتها بهذه الحال ، وما عدا هذه التغييرات فليس فيه من معنى الشاعرية إلا الوزن فقط ، والتغييرات إنما تكون بجميع الأنواع التى تسمى عندنا مجازاً ، والفاضل من هذه الأشياء أن يستعمل من كل واحد منها ما هو أبين وأظهر وأنبه ، وهذا لا يوجد إلا فى النادر من الشعراء لأنه دليل المهارة

وقد أتى المترجم على نموذج من نماذج قصائد المديح ، يريد أن يحلل الأجزاء التى تتركب منها القصيدة ، فأرجع تأليفها — عند العرب — إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول الذى يجرى عندهم مجرى الصدر فى الخطبة كذكر الديار والتغزل ، والجزء المبنى على المديح ، والجزء الذى يجرى مجرى الخاتمة فى الخطبة . وهذا إما دعاء للممدوح أو تقريظ للشعر الذى قاله . والجزء الأول أشهر من هذا الآخر ، ولذلك يسمون الانتقال إلى الثانى استطراداً ، وربما أتوا بالجزء الثانى دون الجزء الأول كقول أبى تمام : « لهان علينا أن نقول ونفعلا »

أو قول أبى الطيب : « لكل امرىء من دهره ما تعوّدا »

ويرى خير المدائح المدائح التى يوجد فيها التركيب أى ذكر الفضائل والأشياء المحزنة المخوفة والمرققة . . . وكأنى بابن رشد لم يفصل هذه الأشياء لأن العرب لا يمزجون الأشياء المحزنة المخوفة والمرققة بمدائحهم . . . وإنما هى من صفات الشعر اليونانى (وبخاصة الأوميروسى) . ثم انتقل إلى ذكر الخرافة ، والخرافة تكاد تغلب على الأشعار اليونانية . . . ولكن أرسطو يرى أن الخرافة ينبغى أن يكون مخرجها مخرج ما يقع تحت البصر ، لأنه إذا كانت الخرافة مشكوكاً فيها لم تفعل الفعل المقصود بها ، وذلك أن ما لا يصدقه المرء فهو لا يفزع منه ولا يشفق له ، وفى هذا سر عميق من أسرار الابداع ، إذ ليس الشاعر من أغرب وأعجب ، وليس الشعر بالشعر الأذهب فى الغرابة والتخيل البعيد عن الصدق

كما يذهب إليه بعض الشعراء . والشاعر الموهوب قد يتناول ما بين يديك ، ويدخل فى عالم نفسك ، ثم يحدثك بما تعرفه وتحسب أنك لا تعرفه ... لأنه أدرك بتعمقه وتأمله أشياء منك لم تدركها بنظراتك السطحية

ثم عرض للأشياء التى يجب أن تمدح فى الممدوح محللاً إياها تحليل الفيلسوف الذى لا يسمح بعبث فى الفضيلة ، ولا بتلاعب فى الحقيقة . هو يريد من الشعراء أن يتبعوا هذه الحقيقة ، وأن يبرزوا من الممدوح الصفات التى يتحلى بها . . . وإنما تمدح العادات الخيرة والفاضلة ، والعادات اللائقة بالممدوح والصالحة له ، وذلك أن العادات التى تليق بالمرأة ليست تليق بالرجل . وأن تكون مما يشابهه وأن تكون معتدلة متوسطة بين الأطراف ، ثم لا يورد الشاعر فى شعره من المحاكاة الخارجة عن القول إلا بقدر ما يحتمله المخاطبون من ذلك حتى لا ينسب إلى الغلو والخروج عن طريقة الشعر . وكما أن المصور الحاذق يصور الشيء بحسب ما هو عليه فى الوجود حتى إنهم قد يصورون الغضاب والكسالى مع أنها صفات انسانية ، كذلك يجب أن يكون الشاعر فى محاكاته يصور كل شيء بحسب ما هو عليه حتى يحاكى الأخلاق وأحوال النفس ومن هذا النوع من التخييل قول أبى الطيب يصف رسول الروم الواصل إلى سيف الدولة :

أتاك يكاد الرأس يجحز عنقه ... وتنقد تحت الذعر منه المفاصل
يقوّم تقويم السماطين مشيه ... اليك إذا ما عوّجته الأفاكل (١)

ينتهى ابن رشد من مقارناته ، ويذكر شذوذ العرب فى كثير من هذه القوانين الشعرية . ويقول مع أبى نصر الفارابى : « وأنت تعلم من هذا أن ما شعر به أهل لساننا من القوانين الشعرية هو نزر يسير » وفى الحق يتبين لنا هذا الشذوذ كثيراً عند دراستنا للشعر العربى دراسة نقدية كما يتصورها ابن رشد ، وذلك عائد إما إلى جهل العرب لهذه القوانين ، وإما الى أن هذه القوانين لم تلائم طباعهم . .وهذا القول أرجع عندى لأن الأمة لا يمكنها أن تخلق لشعرها قوانين قبل أن يكون لها شعر !!! وأن شعرها الذى نسوقه هو الذى يخلق قوانين نقدها ! إلا إذا أرادت أن تحاكى أمثلة سواها ، وأن تقبل التأثر بقوانين غيرها ...

وإننا لن نغلو فى التشيع لهذه القوانين لأننا نراها قوانين إذا أفادت مرة فقد لا تفيد كثيراً . . . والعبقرية فى الشعر تستلهم نفسها ولا تستلهم قوانين . ولكن هذا لا يصرفنا عن القول بأن هنالك قوانين إذا لم يحترمها الشاعر عاد عليه ذلك بالفساد . وإنما أبلغ سقراط حين شبه الشاعر بالمصور ، فليس المصور ذلك الذى يمنح صور الأشياء ، أو يخلق أشياء غريبة لا تناسق فيها ولا فكرة . وليس الشاعر بالذى يعطّل نظام الطبيعة الشامل ، ويعكس ألوان الأشياء بتخيله المضطرب ! ! ! إنما المصور من يساعد الطبيعة على ابداعها وتزيينها ، والشاعر هو من يكون أميناً على ما يتمثل له فى الحياة . . .

وقد تكون قوانين سقراط فى الشعر — صارمة قاسية لأنه يطلب من الشعر ما يطلب من الفلسفة ، اعتصام بالفضيلة ، واستمساك بالحقيقة ..! وقد يخرج عن هذه الحدود لأنه لا يطيق القيود ، وقد يرضى بأن يهذب نفسه ولكنه لا يرضى بأن يفادى بحريته . . . جناح الفن دائماً خفاق يبتغى السمو والعلو ، وويل للفن إذا استعان بجناحه على الانحدار بدلاً من الارتفاع ، لأن روعة الفن فى ارتفاعه لا فى انحداره !

وقد كان ينبغى لمثل هذه القوانين الشعرية أن تثير ضجة فى الشعر العربى لأنها مقاييس غريبة ، منطقية فى النقد ، ولكنها مرت هادئة كمر السحاب ، لا لأن الأدباء لم يفقهوها ، وقد قربها ابن رشد من الأفهام بعد أن عربها وأعربها بالنماذج والأمثلة العربية ، ولكن أهل البيان العربى ، وجدوا أن الأدب العربى الطافح بما يخالف هذه القوانين ، يستحيل عليه أن يحطم ماضيه وأن ينهج طريقاً جديداً يخطه بأيدى هذه القوانين الجديدة التى لا تلائم البيان العربى ! ! !

(دير الزور) خليل هنداوى

(١) يقول : أتاك وقد داخله الخوف مما أراه القتل نصب عينيه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه لتوهمه أنه انفصل عنه وتكاد مفاصله تتقطع من الخوف وكان إذا تعوج مشيه من الرعدة قومه تقويم السماطين (وهما صفان من الجند) من جانبيه

الحيـاة الأدبية فى تونس

للأستاذ محمد الحليوى

« يجب أن يصف أدباء كل قطر من الأقطار الحياة الأدبية فى قطرهم ، ومبلغ قوتها وضعفها ...... لنتعاون جميعاً على علاجها ومداواتها ...... »
على الطنطاوى (الرسالة ١٣٦)

الـكلام عن الحياة الأدبية فى تونس يشمل الـكلام عنها من ناحيتين مختلفتين . فان كان المراد بالحياة الأدبية كثرة المشتغلين بالأدب ، والمهتمين بالحديث عن رجاله ، والمقبلين على مجالسه ونواديه ، والمطالعين لـكتبه ومجلاته ، فنى تونس حياة أدبية لا بأس بها . والظاهرة البارزة فى الأوساط المثقفة هى حب الأدب ، والتطلع إلى كل ما يمت اليه بصلة . فالشباب التونسى يصرف هواه وجل نشاطه ومجهوده فى الاشتغال بالأدب ولواحقه ؛ ومجالس الشيوخ والـكبراء يغلب عليها الحديث عن الأدب والأدباء ، والميل إلى المطارحات الأدبية ، والمساجلات الشعرية ؛ وكل فـكرة جديدة ، أو خبر أدبى ، أو كتاب ناجح تجد له صداه فى كل الأوساط المتعلمة

ولـكننا إذا أردنا بالحيـاة الأدبية الانتاج الأدبى والمجهود الفردى لخدمة الأدب بواسطة التأليف والنشر ، فتونس ليس لها حياة أدبية تليق بمكانتها التاريخية ومركزها الجغرافى فى أفريقية الشمالية . وإنه ليُعيى الباحث أن يدلّ دلالة واضحة ملموسة على القسط الذى ساهمت به تونس فى تـكوين هاته النهضة الأدبية المعاصرة فى الشرق العربى ، وأن يبين أن للأدب التونسى ناحية خاصة تميزه ، ومعالم معروفة لا يمكن أن ينكرها مُنكر ، أو يتجاهلها متجاهل

وها نحن أولاء نستعرض بعض مظاهر الحياة الأدبيـة فى تونس ، ونقول فيها كلمة الحق ، وإن كان من الحقائق ما هو مؤلم

***

الشعر فى تونس

هناك فى تونس شعراء كثيرون ، ودواوين شعرية مطبوعة كديوان « خزنه دار » ، وديوان سـعيد أبو بكر ، وديوان مصطفى آغه ، ومجموعة للأدب التونسى المعاصر فى أربعة أجزاء جمعها زين العابدين السنوسى صاحب مجلة « العالم الأدبى » ، وترجم فيها لمـا يزيد على ثلاثين شاعرا ، وانتخب من شعرهم منتخبات مطولة . ولـكن الشعر التونسى فى مجموعه لم يبلغ من القوة والابتـكار والاستقلال الفـكرى والممـيزات الفردية ، وظهور الشخصيات القوية ، ما يجعله يقوى على تحمل المقارنة بالشعر العالى أو ينعت بالأدب الرفيع . ومن سوء حظ تونس أن الفرد الوحيد الذى استطاع أن يعلو بشعره إلى مكانة الشعر الراقى ويضاهى به أنبغ شعراء العرب والغرب قد مات فى العام المـاضى فى ريعان الشباب ؛ وبكته تونس فى حفلة رائعة اشترك فيها كثير من أدباء الأقطار العربية

والشعر التونسى المعاصر يسيطر عليه تقريباً الشعراء الشيوخ وهم الذين يخصون فنون الشعر القديمة بجل عنايتهم ؛ وشعراء الشباب يغلب على شعرهم الميل الى التجديد فى المعانى والأغراض وحتى الأوزان والأساليب ، ولـكن الذى يعاب عليهم هو غلبة تفـكير الجرائد ومواضيعها على أدبهم ، وفقر شعرهم من المعانى القوية والصور الشعرية ، واحتياجهم إلى الثقافة العامة القائمة على سعة الاطلاع والاحاطة بتاريخ الحركات الأدبية والفـكرية فى مختلف العصور ؛ ويعاب عليهم أيضاً هذا النوع من الأدب الباكى الذليل ، فلا يكاد أحدهم يشدو فى نظم الشعر حتى تراه ينظم فى البؤس وتوابعه ، ويتشاءم من كل شىء فى الحياة ؛ فنحن نقبل هذا النوع من الـكهول والشيوخ الذين دخلوا معركة الحياة وتمرسوا بآفاتها ، ولـكننا نرفضه من الشباب ، لأن الشباب أمل وعزيمة وحب للـكفاح والغلبة

***

الحياة الكتابية

فنون الـكتابة كثيرة ، فأية كتابة عندنا وأى كتّاب ؟ نقول فى الجواب إنه يوجد عندنا الـكاتب الاجتماعى والمؤرخ

والصحف .... فقد نشر فى تونس فى هاته السنوات الأخيرة كتب بعضها فى التاريخ ككتب الأساتذة حسن حسين عبد الوهاب، وعثمان الكعاك، وأحمد توفيق المدنى؛ وبعضها فى الأدب والاجتماع، ككتاب أبى القاسم الشابى عن الخيال الشعرى، وكتاب الطاهر الحداد عن المرأة، وكتاب محمد المرزوقى عن مسائل من الفن والجمال. وهناك خمس صحف أسبوعية، وجريدتان يوميتان، ومجلة أدبية لم يستطع صاحبها أن ينفخ فيها الحياة، فهى تحتضر منذ سنوات! وعدا ذلك فليس فى تونس من يمثل تمثيلاً مشرفاً أدب القصة والمسرح، وأدب الأطفال، والأدب القوى؛ وكذلك الناحية النقدية والعلمية فى الأدب. وتاريخ تونس لما يكتب.

فصفة الكاتب عنيت بها مايفهم من لفظها اجمالاً واطلاقا، أما اذا عنينا بالكاتب رجلاً له نظريات خاصة، وأفكار فردية، يخصص حياته لنشرها والدفاع عنها حتى تنتصر، كلفه ذلك الدفاع ما كلفه، فهذا عزيز فى الناحية الأدبية. فاذا قلنا مثلاً إن طه حسين كاتب، فليس معنى ذلك فى مذهب العقل والتاريخ أنه يجيد رصف الجمل وتأليف الكتب، وانما معناه أنه رجل يفرض فكرته على الناس فرضاً، ويكتب ما راه حقاً وإن خالف ما رآه غيره، ولا يضيره أن يواجه قراءه بغير ما ألفوا سماعه، ويصدمهم بآراء ليست هى آراءهم التى اقتنعوا بها؛ وبعبارة أشمل يرفعهم اليه، ويحثهم على التفكير والتأمل واعادة النظر فيما ناموا عليه من المبادئ والحقائق؛ وما يزال بهم حتى يكون من أنصار فكرته ومخالفيها مدرسة تنشر تعاليمها وتصادم تعاليم خصومها. فهذا هو الكاتب الذى يحيى الأدب ويجدد الأدب، وبهذا وحده يكون الكاتب مثقف عقول، ومغذى عواطف، وقائد أفكار

أما فى تونس فالقارئ هو الذى يقود الكاتب. فعلى الصحفى أن يصلح مايحب الرأى العام أن يصلح، ويجتنب ما يغضبه ويهيجه. وعلى الكاتب أن يكتب ما يريد قراؤه، وأن يتناول من المواضيع ما يسمحون له بتناوله؛ وحذار أن يكون له رأى خاص يخالف رأيهم — وإذا كتب فى نقد الأدب القديم فالواجب أن تكون كتابته تقديساً لأصحاب ذلك الأدب، وكلمة الالحاد وما اشتق منها ما تزال رائحة الاستعمال تلصق بكل من يظهر نوعاً من الاستقلال الفكرى فى الأدب؛ وجمهور القراء لم يحسن إلى الآن التفريق بين ما هو أدبى وماهو دينى، فكل أديب يقول بالتجديد الأدبى فهو متهم فى عقيدته. فكانت نتيجة هذه الحالة فقر أدبنا من الكتاب ومن كثير من فنون الكتابة

معاهد الثقافة والمؤسسات

وأول مسؤول عن ركود الأدب فى تونس هى معاهده الثقافية ومؤسساته الأدبية، فانتشار الأدب لا يكون إلا بكثرة القراء، وعلى قدر نصيبهم من المعرفة والفهم يكون إقبالهم على تتبع الحركة الأدبية وتقويتها بشراء كتبها ومجلاتها. ونحن نريد أن ينتشر الأدب وتقرأ كتبه ونشراته، لأننا فى حاجة إلى تقويم العقلية التونسية وتثقيف ذهن سائر الطبقات، وتصحيح المقاييس التى نقيس بها كل شأن من شؤون الحياة؛ وليس شىء كالأدب يحيى ميت الهمم ويبعث خامل العزائم ويشذب شاذ الغرائز؛ وكل مدنية قامت فى التاريخ كانت منبعثة من نهضة أدبية أو مصاحبة لها

فما هو نصيب معاهدنا فى هذا العمل وماذا نرجو منها؟

أما المدارس الابتدائية فلا رجاء فى أبنائها لأن المعلومات العربية التى يخرجون بها من هاته المدارس لا تؤهلهم لقراءة الكتب الجدية ومطالعة الصحف الراقية، وهم حين يغادرون المدرسة يرجعون إلى أشغال آبائهم فى القرى والبوادى، وليس لهم من الثقافة إلا ذلك النزر القليل الذى يمكنهم بعض التمكن من قراءة رسالة أو كتاب عامى سخيف من تلك الكتب المملوءة بالخرافات والأوهام

أما المعاهد الثانوية والعالية فهناك جامع الزيتونة الأعظم والمدرسة الصادقية والمدرسة العليا للآداب واللغة العربية. فأما جامع الزيتونة فهو حصن العربية الأشم، وهو بمثابة الأزهر بمصر، وخريجوه هم صفوة العلماء والحكام والقضاة والعدول، وهم الطبقة الوحيدة ذات الثقافة العربية المحضة؛ وأما المدرسة الصادقية ومدرسة اللغة والآداب العربية، فان الدراسة تقع فيهما باللسانين، وربما غلبت فيهما الثقافة الفرنسية على العربية خصوصاً من ناحية الترجمة والعلوم الرياضية، ومن هاتين المدرستين تخرج جل كبار موظفى الادارة الفرنسية ومترجميها، وعن طريقهما

سافرت البعثات العلمية التى تتكون اليومَ منها نخبة طيبة من الأطباء والمحامين والمهندسينَ ، ولكن أطباءَنا ومحامينا قلما يكتبون أو يؤلفون بالعربيــة . وكم كنا نود لو أن دكاترتنا كانوا كدكاترة مصر الذين قامت على سواعد أكثرهم نهضة مصر الأدبية والعلمية

أما المؤسسات الأدبية فهنالك الجمعية الخلدونية ، وهى أقدم المؤسسات التونسية ، ثم جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية ، وأخيراً جمعية الكتاب والمؤلفين — فأما الخلدونيــة وقدماء الصادقية فأغلب نشاطهما منصرفٌ إلى تنظيم المسامرات الأدبية والعلمية ، وإقامة الحفلات لاحياء ذكرى نوابغ الأمة العربية فى القديم والحديث ؛ وأما جمعية المؤلفين والكتاب التونسيين فانها افتتحت أعمالها باقامة حفلة ذكرى الشاعر العبقرى المرحوم أبى القاسم الشابى . ثم لم تفعل بعـدها شيئاً إلى الآن خصوصاً وقد علقت عليها آمال ضخام فى انتشال البلاد من هذا الركود الأدبى بتوحيد جهود أدبائه وتسهيل نشر كتبهم بواسطة القروض التى تسبقها والدعاية التى تقوم بها للمؤلفات

أسباب ركود الأدب

إذن فأسباب ركود الأدب كثيرة ، ولكن يمكن تلخيصها فى سببين :

الأول : قلة القراء فى الأوساط الشعبية نظراً للأمية الغالبة على السواد . ثم جهل كثير من الشباب لغتــه القومية أو نزارة معارفه التى لا تسمح له بالاستفادة من الأدب والصحف الجدية

الثانى : عدم وجود من يأخذ بيد الأديب إذا هو أراد أن ينتج وينشر ، فطبقة القراء القليلة تزهد فى كل عمل تونسى ، ولا تُقبل على تأليف تونسى ، كما تقبل على التآليف المصرية والشامية ، والصحف اليومية لا تقوم بأى مجهود لاستكتاب الأدباء ، وحمل القراء على المطالعة الأدبية ، وإذا نشرت شيئاً من الأدب فالأغلب أن يكون من الأدب السهل الرخيص

والخلاصة أن الأدب فى تونس لا يعـدو كونه هواية من الهوايات ، ولا يوجـد الأديب المحترف ، وإن وُجد الصحافى . والمؤلف يقاسى الأمرين من فقـدان الناشر والقارىء . وليس هناك من المشجعات للأديب ما يجعله دائب الانتاج والعمل . فلا مكافآت ، ولا جوائز ، ولا مجـلات لنشر آرائه ، ولا حرية لمن أراد أن يفكر باستقلال ؛ والأصوات التى ارتفعت فى تونس وترقب منها كلُ مخلص أن تـكون فى يوم من الأيام داويةً فى العالم العربى خفتت وصمتت لتكاتف هاته العوامل عليها

رجاء

على أنه لا يسعنى أن أختم هاته الكلمة دون أن أنوه بما يبديه الشباب التونسى فى هاته المدة الأخيرة من النشاط والحيوية . فهنالك جمعيات للشبيبة لا زالت توالى الجهود فى إقامة الحفلات المختلفة وإلقاء المسامرات فى مختلف المواضيع ، ونشر النشرات التى يرى القارىء من خلال سطورها هاته القلوب الفتية التى تتقد إيماناً بمستقبل الأمة التونسية ، وحباً لأدبها ولغتها القومية . وإنه وإن كان نشاط هاته الجمعيات مقصوراً على العواصم وفى أوساط مخصوصة ، فانا لنرجو أن توفق إلى تعميم هاته الحياة فى كامل البلاد بكل وسائل النشر والدعوة ؛ فان الأمة التونسية لفى أشد الحاجة الى حيوية شبابها وعزمته الصادقة وإيمانه القوى باسترداد مجد تونس الزاهر وعصرها الذهبى

(رادس — تونس) **محمد الحليوى**

من الأدب الانكليزي

٣ - برسي شـــلي
Percy - Shelley

تتمـــة

بقلم خليل جمعه الطوال

تعريف للشعر والشاعر

لشلي نظرية في الشعر طويلة لا يتسع مقالنا هذا لاستيعابها بكاملها ، نقتطف منها إحاطة بالموضوع من جميع نواحيه مايأتي :

ليس الشعر بالحدث الطارىء الجديد على عواطفنا ولا من صفاتنا المكتسبة بطول التمرن والمران ، بل هو فينا غريزة فطرية كغريزة الجوع والنوم والكلام والألم ، وليس ما نبديه من الحركات المبهمة والاشارات الغامضة ، أو ما نفوه به من الكلام وتجيش به صدورنا من العواطف المضطرمة إلا أنواعا من الشعر في أدنى مواضعه وأضيق حدوده . ولولا ما فينا من عواطف الشعر الهائجة الكامنة والثائرة الوادعة ، لما كنا نكتئب ونفرح لأوهى الصدمات وأدنى المؤثرات

وليس الشعر بعلم من العلوم التطبيقية كالهندسة والكيمياء وكالفلك والكهرباء وإلى ما هنالك من العلوم التي تعتمد على التجربة ولا تثبت إلا بالبرهان ، بل هو فن من الفنون الجميلة — وهي الرسم والموسيقى والرقص والغناء والشعر والبناء — التي تعنى بظواهر الأشياء وأشكالها دون باطنها ، وبجمالها وأعراضها دون جوهرها : وما الانسان إلا كآلة موسيقية تتعاقب عليها شتى الانفعالات الداخلية والمؤثرات الخارجية : فتتجاوب أوتارها لكل منها بنغمة خاصـــة تختلف عن سالفتها في الدرجة لا في النوع

لقد كان الانسان في بدء أطواره يقلد مختلف الظواهر الطبيعية بحركاته وسكناته ، فكان كل من هزيم الرعد ، وهزيز الريح ، وزمزمة النار ، وخرير المياه ، وحفيف الأشجار ، وقد غردت فوقها الأطيار الجميلة الألوان والشجية الألحان ، يحدث في نفسه انفعالات داخلية عديدة ، وشحنات كهربائية عنيفة ، لا يرى لها مخرجاً إلا في فنٍّ من الفنون الجميلة ، ولكن الناس ليسوا سواءً في الاستجابة لهذه المؤثرات ، فهم وإن تشابهوا في نوع إحساساتهم إلا أن فيهم البليد الشعور ، وفيهم السريع الانفعال ، وهذا الأخير هو ما نسميه اصطلاحاً بالشاعر

والشعرُ يتكىء على الخيال كما يتكىء على الحقيقة ، ويعتمد على اللغة بمقدار ما يعتمد على الموسيقى والغناء . وليست هذه الأشياء في مجموعها إلا من مكوناتِ الشاعر الأولية ، وبمقدار حظه منها يكون حظه من الشاعرية

على أن أسمى مظاهر الشعر وأبينها هي تلك العواطف والانفعالات المنضوحة في وعاء من الكلام الموزون المقفى ؛ ذلك لأن جمال اللغة وموسيقى الألفاظ ، أقرب إلى الخيال وأعمل في اذكاء النفس وارهاف الحس من التصوير والبناء ، ونغمة الآلة والرقص والغناء . ولكن هذه المفاضلة تحصر الشعر في دائرة ضيقة ، لا تتسع لاستيعاب ذلك الخيال المشبوب وتلك العاطفة الوثابة اللذين لا يجدان لهما من منفذ آخر عدا الشعر المقفى إلا بالتلحين وبالحركات . ومن هنا كان تفرع الرقص والغناء عن الشعر الذي هو الأساس .

الشعر هو تلك المرآة التي تنعكس عنها شتى الانفعالات النفسية التي يجيش بها الصدر وينماث لها القلب ؛ وبمقدار ما يكون لهذه المرآة من دقة الصنعة والاتقان يكون للشاعر من جودة الفن وغايته في الابداع والاحسان

ولعل ضرورة الوزن والقافية للشعر انما جاءت من ضرورة الرقص والموسيقى للغناء . فأنت لا تكاد تنبس ولو ببيت من الشعر إلا وتختار لالقائه أجود التوقيع ، وتقرنه باشارات قد تكون في الغالب مبهمة ، إلا أنها مع كل ذلك تدل على عاطفة كانت مكبوتة فظهرت ، وكانت هادئة فاضطربت

الشعر هو صورة الحياة في حقيقتها الأزلية

والشاعر هو تلك الريشة التي تظهر بواسطتها هذه الصورة

والشاعرية هي القدرة على ابرازها في أجمل ألوانها وأزهى أشكالها

الشعر هو الألمُ والسرورُ ، هو الكآبة والحبور ، والشاعر

هو ذلك الذى تضطرب نفسُه بين موجات الحزن ونغمات الفرح . بل هو ذلك الشعاع الذى يصقلُ النفسَ ويرهف الحس ويهذبُ الشعور

الشعرُ يهذب الأفرادَ والدرامة تُصلح سوآت المجتمع ، ولذا أحسن تاسو الايطالى إذ يقول : ليس من مبدع إلاّ الله والشاعر(١) ، وليس من مدنية إلا بالدرامة

ثورة شلى الفكرية

لقد تمرد شلى على الهيئة الاجتماعية وخرج على جميع نظمها وتقاليدها الدينية والمدنيــة ، فاثال على الدولة والكنيسة بحملة متطرفة شعواء ، نقضت ما كان لهما فى نفوس الناس من الجلال والاحترام ، وكان يعلق كبير الأمل فى التخلص منهما ، وفى تحقيق مثـله الأسمى على تلك الأفكار الثورية التى تلقحت بها عقول الناس من كتابات فولتير وروســو ومنتسكيو ، والتى كظمت مدة ثم انفجرت بالثورة الفرنسية ، ولكن لشد ما أسف اذ رأى ما منيت به أفكار الثوار من الاخفاق

ولــا اندلعت نيران الثورة فى أسبانيا ونابولى وأثينا ثانية بدت له — فى عالم الخيال — بارقة أمل جديدة فى تحقيق مثله الأسمى ، فأخذ يتغنى بهمة الثوار ويستفز حميتهم بشتى القصائد الرائعة كقصيدة « نابلى » وقصيدة « هيلاس » . ولكن الثورة اشتدت ووضعت أوزارها ، دُون أن تحقق له غرضاً من أغراضه التى مات وهو مصر عليها برغم ما لقيه من قوة السلطة وصدمة الحوادث

فكرة شلى عن الله

يرى شلى أن فكرة الانسان عن الله تشوه جماله كما يشوه الزجاج الملون منظر الأجسام التى من ورائه . وأنها فكرة خاطئة تتناقض ومبادئ العدل والانسانية العليا . ويقول إن الله لم يخلقنا لكى يعبث بنا فى الآخرة أو يجزى شرورنا بمثلها لأنه رحيم لا حد لرحمته ، ولأن الانتقام من صفات الانسان وليس من صفاته فهو والحالة هذه يشبه عمر الخيام إذ يقول(٢) :

اذا كنت تجزى الذنب منى بمثله فما الفرق ما بينى وبينك يا ربى

وَيستأنف فى قوله إلى أن ليس لله كيان مستقل بذاته بل هو متمثل فى جميع مظاهر الكون وكائناته من انسان وحيوان . فليس ما نشعر به فى عواطفنا من عوامل الخير والفضيلة والاحسان والشفقــة أو ما نشاهده فى الدودة التى تعيش فى باطن الأرض من المحبة والاطمئنان إلا من مظاهر ذلك الآلــه العادل

لقد تصور شـلى فى الانسان اسمى ما يمكننا تصوره ، وراح يعرض هذه الصورة الجديدة على معاصريه المتزمتين بلسان عى وخلق سرى ، بل بيد جذاء وكنانة جوفاء الا من ذخيرة الايمان بدعوته . ولذا فلا عجب إذا وقرت دونه آذانهم ، بعد أن أذاقوه من لاذع النقد ومر التقريع شأن ما يلقاه أصحاب البدع فى كل جمهور متزمت

وفى عام ١٨١١ نشر رسالة مطولة : عنوانها « حاجتنا الى الالحاد » دعا فيها جميع الأساتذة الى الالحاد أو الى تفنيـد آرائه ودحضها بالمناقشة ، ولكنهم ألقوا بدعوته دبر آذانهم ثم طردوه من الجامعة هو و « السير توماس جفرسن » المتشرع المشهور لأنه استجاب لدعوته واعتنق جميع مبادئه

وفى عام ١٨٥٨ ألف « توماس جفرسن » كتاباً عظيما عن صديقه شلى أكسبه شهرة واسـعة فى الأوساط الأدبية ، وقد نشره تحت عنوان (Uncomplete life of Shelliy) وهو يتضمن حياة شلى وتعاليمه مذيلة بشروح عظيمة لا نعثر عليها فى غيره

آراء الأدباء فى شلى

يقول روبرت براونج : لقــد هاجم شلى مبادىء المجتمع العظيمة دون أن يتحقق صحيحها من فاسدها ، وغثها من سمينها ، ونسب الى الكنيسة والحكومة الشىء الكثير ، مما يزرى بشأنهما ويحط من مقامهما فى أعين الناس . ولقد كان فى حملته التى شنها على العرف والعادات ، وعلى الشرائع والديانات ، يُقاد بتهور العاطفة لا بتمحيص العقل ، وبنشوة الشباب لا برصانة الفكرة ؛ وكان يلقى بأحكامه جزافاً قبل أن يعمل فيها مشرط العقل وقبل أن يعرضها على محك الاختبار

ويقول سوينبرن : إن إعجابى بشلى عظيم لاينتهى ، وما ذاك إلا لفرط محبته الواسعة لجميع المخلوقات ، تلك المحبة التى تقرن اسمه بالمسيح ما دام فى الكون فقراء ومسا كين . لقد درس آراء افلاطون — ولا سيما كتابه Symposism — وتغلغل فى ثناياها

(١) هكذا فى الأصل Non merita nome di creatore, de non Iddio ed il poeta

(٢) راجع رباعيات الخيام

بأسمى ما عرفه الانسان من المثل العليا ، تلك المُثل التى صرف فى تحقيقها ريق العمر وزهرة الشباب فما أفلح

ويقول أرنولد : ثلاثة ينبغى تقديسهم : بوذا لتضحيته ، والمسيح لمحبته ، وشلى لانسانيته

ويقول بيكوك : مهما يكن من الحاد شلى فانى أرى فيه مثال الدين الصحيح لاقباله على عمل البر وحدبه على الفقراء . فقد شهدته مرة وقد ابتاع من أحد التاجر مجهراً ، فما لبث أن أودعه لساعته عند تاجر آخر وأخذ مقابله قليلاً من المال ، ورأيته يركض بعد ذلك بخطوات فسيحة لينقذ بائساً رآه فى وهدة الشقاء . وكانت تلك الكمية صبابة ما بقى لديه من المال .

حياته وزواجه :

دخل شلى مدرسة أتن عام ١٨٠٤ ، وكان لا يزال فى الثانية عشرة من العمر ، ثم تركها والتحق بجامعة اكسفورد حيث طُرد منها عام ١٨١١ بسبب رسالته الالحادية . وفى شهر يونيه من السنة نفسها تزوج « هاريت وستبروك » وارتحل الى بلدة « كزوك » هرباً من تعنت والده ، وهناك التقى « بسوثى » أحد شعراء اقليم البحيرات البارزين . ثم أخذ يتعاطى مهنة الصحافة مع (وليم فودوين) السياسى الشهير فتشرب منه روح السياسة . وفى عام ١٨١٢ سافر الى ارلندا ودبلن حيث أخذ يؤلب الناس على الكنيسة الرومانية ، فاستجاب له خلق كثير وأعرض عنه الباقون

وفى سنة ١٨١٣ ولدت له هاريت صبية دعاها « لانث » . ثم ارتحل الى أدنبره وألقى هناك عصا التسيار مدة من الزمن ، كان يستجم فيها ويُعد العدة لحملة جديدة يحمل بها على الدين والمجتمع معاً . وفى مستهل عام ١٨١٤ برزت هذه الحملة الجديدة فى رسالته التى نشرها تحت عنوان « تفنيد وحدانية الله The refutation of deism » ، وفى العاشر من شهر ديسمبر اضطرب حبل مودته مع زوجه هاريت ، فطلقها وتزوج من عشيقته مارى ولستونكرافت ابنة الصحافى الكبير فودوين ، وبعدها سافر الى سويسرا ثم الى فرنسا ، وفى أثناء غيابه ولدت منه زوجه الأولى هاريت صبياً دعته شارل بيش ، وما ان رجع من رحلته هذه الا وقد توفى جده بيش شلى فورث عنه أموالاً طائلة

وفى عام ١٨١٦ ولدت له زوجه مارى ولداً سماه وليم شلى إلا أنه لم يُعمر طويلاً بل توفى بعد عامين من ولادته . وفى شهر ابريل التقى بكيتس لأول مرة ، وكانت قد اشتدت روابط الصداقة بينه وبين اللورد بيرون

وفى العاشر من شهر ديسمبر ألقت « هاريت بنفسها فى اليم وما أخرجت من الماء إلا وهى جثة هامدة . وهكذا أصبحت مارى ولستونكرافت زوجه الشرعية »

وفى عام ١٨١٧ سافر إلى إيطاليا وأقام هناك ، وكانت محكمة شانسرى قد حرمته من حضانة ولديه من زوجه الأولى (هاريت) . وفى ايطاليا تفرغ شلى لقرض الشعر ولدراسة الآداب دراسة جدية

وفى الثامن من شهر يوليو لعام ١٨٢٢ بينما كان يسبح فى خليج بيزا لقيه اليم بموجة عظيمة كان فيها حتفه إذ ألقته على الشاطئ جثة هامدة . ثم أحرقت جثته فوق رمال ذلك الشاطئ على مشهد من صديقه اللورد بيرون ووضع رماده فى قبر أُعدّ له فى روما . وكان قد أوصى فى حياته بألا ينقش على ضريحه إلا تاريخ ولادته ويوم وفاته والكلمة الآتية : Désillusionné ومعناها غير مغرور

وفى بعض المصادر نجد أنه أوصى بنقش هاتين الكلمتين لا الأولى وهما قلب القلوب Heart of Hearts ولعل الأولى أقرب إلى الصواب

وهكذا طوت الأيام تلك الصفحة المجيدة المملوءة بجليل المآثر والحافلة بعظيم الأعمال

(شرق الأردن) **خليل جمعه الطوال**

مصادر المقال

1— Shelley : I Adonais. II Revolt of Islam. III Promethus un baund
2— Maculay : Essay on Shelley
3— Becon : His Essays.
4— Harjlitt : Critic sms, of poetry and drama
5— Stopford : English literature VI. II
6— Browing : Essay on Shelley
7— W. H. Stepheus : Introduction to the Study of English Literature
8— Bagchat : Essay on Shelley
9— Hughes : The Introduction to Shelley prose and poetry
10 رسالة الغفران للمعرى تأليف الكيلانى

فاز سعد !

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرف النفيَ حياة ومماتا … وأصاب النصر روحا ورفاتا
كلما أقصوه عن دار له … رده الشعب إليها واستماتا
كيف يجزيه افتياتا وهو مَن … كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصبحت دارك مثواك فلا … تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا
حبّذا الخلد ثماراً للذى … غرس المجد ونمّاه نباتا

* * *

كل أرض للمصلى مسجد … غير أن الكعبة الكبرى مقام
هكذا قبرك مرفوع الذرى … فى جوار البيت أو سفح الأمام
أرض مصرٍ حيث أمسيت بها … فبنو مصر حجيج وزحام
غير أن الذكر يبغى منسكا … مثلما يبغيه حج واستلام
فالق فى قبرك خلداً كلما … مرّ عام تبعته ألف عام

* * *

اعبر القاهرة اليوم كما … كنت تلقاها جموعا ونظاما
ساعة فى أرضها عابرة … بين آباد طوال تترامى
ساعة من عالم الفردوس لا … تشبه الساعات بدءاً وختاما
كل من شاهدها زِيدَ بها … من معانيك جلالاً ودواما
قل لهم أبلغَ ما قلت لهم … أيها الواعظ صمتاً وكلاما

* * *

جرّدوا الأسياف من أغمادها … ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
ارفعوا الرايات فى آفاقها … أين يوم الموت من يوم المعاد؟
لا يلاقى الخلد بالحزن ولا … يكتسى الفتح بجلباب السواد
ذاك يوم ما تمناه العدى … بل تمناه ولاء ووداد
فانفضوا الحزن بعيداً واهتفوا : … فاز سعد وهو فى القبر رماد

* * *

الفراعين الأولى أجليتهم … لتمنوا لو أجازوك الطريق
أنت أضفيت على أوطانهم … سعة ، وهى من الأسر مضيق
أنت أيقظت لهم تاريخهم … وهو فى نومته لا يستفيق
فضلك اللاحق أحيا فضلهم … فاستوى منه طريف وعريق
آية فى الحق لا ينسخها … فى مدى الدهر عدو أو صديق

* * *

يا بنى مصر اجعلوا نقلته … رمز أحياء وعزم ومضاء
وانظروه كيف حالت دونه … غِيَرٌ شتى ، وما حال القضاء
المعيقون تنحوا جانبا … آخر الأمر ، وسعد فى البناء
كل ذى حق سيعطى حقه ، … ليس للمجد من الخلد نجاء
كل ما عارض سعيا باقيا … عَرَض فان وزور ورياء

* * *

ترمز الشمس إلى نقلته … بسفور غالب بعد حجاب
صرعت ليلين صبحاً فروت … عن حضور ناصع بعد غياب
هو أيضا قد طوى ليل الردى … وطوى ليل الغواشى والكذاب
فى السموات وفى الأرض له … أثر ينبئ عن يوم المآب
أثر الفجر إذا انجاب لنا … عن ضحاه ، بعد لأىٍ وغِلاب

* * *

دان يا سعد لك الذكر بما … شيد البانى وما خط الزبور
قدر نادى فلبته على … موعد الذكرى صخور وسطور
أنا بان لك فى ملك النهى … منزلاً يبقى ولا تبقى الصخور
من أسانيدك آساس له … ومن الحق له حسن ونور
إن أنل شأوك فيه إننى … بالذى شيّدت منه لفخور

* * *

فتية الوادى بسعد فاقتدوا … إن تخيرتم له خير وفاء
أذكروه بالذى يعمله … منكم العامل فى غير وناء
واذكروه بالذى امتاز به … من مزاياه الأبيّات الوضاء
هكذا يخلد سعد بينكم … بتماثيل حياة ورواء
كل ما يعظم من أعمالكم … هو تخليد لذكرى العظماء

كل بيت فيه سعد ماثل

للأستاذ على الجارم

اكشفوا الترب عن الكنز الدفين
وارفعوا الستر عن الصبح المبين
وابعثوه عسجداً مؤتلقاً ... زاد فى لألائه طول السنين
واجتلوه درة ساطعـــة ... صدفُ الدهر بِشَرْواها ضنين
وانتضوا من غمده سيف وغى ... كان إن صال يقد الدارعين
وقناة جــل من ثقفها ... للخفاظ المر والعزم المكين
لوت الدهر على باطلة ... وهى كالحق صفاة لا تلين
هزمت جيش الأباطيل فما ... غادرت غير جريح أو طعين
كتب الله على عاملها ... إنما الخلد جزاء العاملين

***

جدث ضم سناء وسنى ... ومُصاص الطهر فى دنيا ودين
طاعة الأملاك فيـه امتزجت ... فى السموات بعز المالكين
فتشوا فى الترب عن عزمته ... وعن الأقدام والرأى الرصين
واخفضوا أبصاركم فى هيبة ... إن رأت أبصاركم نور اليقين
واخشعوا بالصمت فى محرابه ... أفصح الألسن صمت الخاشعين
وانتحوا من قبره ناحيـة
واحذروا أن تزحموا الروح الأمين
وحناناً بضريح طالما ... صقلته قبلات الطائفين
وجثت مصر به خاشعة ... تذرف الدمع على خير البنين
صيحة قدسية إن سكتت ... فلها فى مصر رجع ورنين
وعرين حل فيه ضيغم ... رحمة الله على ليث العرين
ومضاء عرفت مصر به ... إن للحق يميناً لا تمين
لا أرى قبراً ولكنى أرى ... صفحة من صفحات الخالدين
أو أراه قصب المجد الذى ... دونه ينفق جهد السابقين
أو أراه علماً فى فدفد ... لمعت أضواؤه للحائرين
أو أراه روضة إن نفحت ... خجل الورد وأغضى الياسمين
أو أراه دوحة وارفة ... نشرت أفياءها للاجئين
أو أراه قلب مصر نابضاً ... بمنى تمحو من القلب الأنين

***

نقلوا التابوت تحتفُّ به ... رحمات من شمال ويمين
ذاك بعث حييت مصر به ... من جديد تلك عقبى الصابرين
هل علمتم أن من واريتم ... فى حنايا كل مصرى دفين
ما لسعد حفرة واحدة ... هو ملء القلب ملء الأرضين
كل بيت فيه سعد ماثل ... فى إطار من حنان وحنين
بسمة الآمال فى بسمته ... وانبلاج الحق فى ضوء الجبين
هو للأبناء عم وأب ... وهو للآباء خل وخدين
كان سعد علماً منفرداً ... هل يرى للشمس فى الأفق تنين
إن أم المجد مقلاة فكم ... سوفت بين جنين وجنين
تبخل الدنيا بآساد الشرى ... أيها الدنيا إلى كم تبخلين
أنت قد أنجبت سعداً بطلاً ... وقليل مثله من تلدين
قاد للمجد مناجيد الحمى ... كلهم أروع منبتُّ القرين
تقرأ الاقدام فى صفحته ... مثلما تقرأ خط الكاتبين
كلما مرت به عاصفة ... زعزع مرت على طود ركين
تقرع الأقدار منه عزمة ... أنفت صخرتها أن تستكين
حُشُدٌ حول الرئيس (المصطفى) ... نبعة الاخلاص والخلق المتين
وجدت مصر به واحدها ... رب فرد بألوف ومئين
ومن الناس نضار خالص ... ومن الناس غثاء وغرين
ومن الناس أسود خدر ... ومن الناس ذباب ذو طنين
وضعت مصر به آمالها ... فاستقرت منه فى حصن حصين
مسح الدمعة من أجفانها ... ومحا من لوعة القلب الحزين

***

أيها الربان أبحر آمناً ... وثق الركب بربان السفين
كل ما حولك رهو هادئ ... والبقيات على الله المعين
لاحت الفرصة فى إبانها ... إنها لا ترتجى فى كل حين
فتقدم بطلاً جم المنى ... أنت بالنصر حرىٌّ وقمين
صدق الله تعالى وعده ... إنما الفوز ثواب المخلصين

على الجارم

القصص

قصة مصرية

الأعمى . . .

بقلم محمود البدوى

تمر ترعة الكامل بقرية « س » وهى قرية صغيرة من قرى الصعيد ، فتشطرها شطرين غير متساويين ، فقد جارت على الجانب الأيسر بقدر ما أضفت على الأيمن ، فاتسع هذا واستفاض حتى أصبحت منازله وبساتينه ونخيله وأعنابه لا يحدها البصر ولا يحصرها العين ، واستدق ذاك واستطال حتى قامت منازله الصغيرة على شط الترعة ذليلة منكسرة واجمة ، تشكو الى الله ظلم الطبيعة بعد أن شكت جور الانسان الذى خلفها سوداء قذرة تمرح فيها الحشرات من كل لون وجنس

وإذا استقبلت القرية وأنت قادم على جسرها الطويل ، بصرت أول ما تبصر بمنزل صغير من هذه المنازل بنى بالطوب الأسود ، وخط جواره بستان ، ليس فيه سوى نخلتين : مالت إحداهما على الترعة ، حتى غرقت فروعها فى الماء ، وسمقت الأخرى فى الجو ، حتى ناطحت بسعفها السماء ، ولا تدر النخلتان ثمراً الآن ، ولا يرجى منهما شىء فى المستقبل ، فقد جف عودهما وذهب شبابهما . وتقيم فى هذا المنزل منذ أكثر من تسعة أعوام أرملة فى الخمسين ، وهى امرأة دمثة الطبع — على خلاف العجائز من مثيلاتها — ناحلة الجسم معروقة العظم واهية البناء ، تستريح فى بيتها معظم العام ، حتى يهل رمضان ، فاذا هل ، خرجت فى الهزيع الأول من كل ليلة حاملة على ذراعها صفيحة قديمة تطوف بها على منازل القرويين ، وهى تنقر نقراً خفيفاً ، وتغنى بأغنية قديمة ، قل من يدرك معناها ومبناها من سكان القرية ؛ على أنهم كانوا يهبون من مضاجعهم عند ما يصافح سمعهم إيقاعها وغناؤها ويبسطون موائد السحور ، وان كان الليل لم ينتصف بعد ! ! وهذا العمل الضئيل لا يجلب لها فى الغالب رزق شهرين أو ثلاثة ، فكيف تقتات باقى العام ؟ وكيف تعيش ؟ هذا هو السؤال ! على أن الذين انحدروا من الريف ، يعرفون تمام المعرفة أن هناك الملايين من أمثالها يضعون دائماً أيديهم على بطونهم ليحفظوا بذلك التوازن الاجتماعى لتخمة الأغنياء . مثل هذه الأيم السواد الأعظم من الفلاحين الذين لا يعرفون وخير لهم ألا يعرفوا ، أنهم أتعس المخلوقات البشرية فى الدنيا جمعاء . إنهم مخلوقات ذليلة تاعسة ، لصقوا بالأرض حتى أكلتهم الأرض ، وأفنوا عصارة حياتهم فيها حتى استنفدت قوتهم واستفرغت جهدهم . ولو رأيتهم وهم عائدون من الحقول مع مغرب الشمس ، والصفرة الباهتة تعلو وجوههم ، والغبار القذر يملأ أعينهم ويسد أنوفهم ، لعلمت أنهم أتعس الناس فى الناس ، وأشق الطبقات العاملة على الاطلاق . إنهم مخلوقات مريضة فقدت بهجة الحياة ونعيمها واستسلمت صاغرة للمرض والفناء

ويسكن مع هذه الأيم أعمى فى الثلاثين من عمره ، وهو شاب أسمر فارع ضليع الجسم مفتول العضل وثيق التركيب ، وهو المؤذن لمسجد القرية منذ أن شب عن الطوق وانخرط فى عداد الرجال . على أن الذى جمع بين هذه الأيم العجوز وهذا الأعمى الشاب ، لم يكن قرابة ولا نسبا ، وان كان القرويون يسمون العجوز « أم سيد » وسيد هو الأعمى ؛ وكانت المرأة تمتعض وتهتاج لهذه التسمية فى أول الأمر ، وهى التى لا « سيد » لها ، ثم ما لبثت أن استراحت لها على مرور الزمن فقر هائجها وسكن ، حتى تعمدت ألا تدفع هذا القول بما يكذبه ، وهى المتيقنة بأن الجدل فى أمثال هذه الأمور غير مجد فى الواقع . فمن الذى يقف فى وجه التيار الجارف ؟ ومن الذى يمكنه أن يمنع ألسنة الناس الطويلة جداً الى حلوقها ؟ لا أحد على التحقيق

على أن المنزل لم يكن للعجوز والشاب فى الحقيقة ، وإنما هو لرجل ملاح يعمل فى النيل ويقضى فيه العام كله . ولا يهبط القرية إلا زمن التحاريق ، فاذا جاء ، بات فى سفينته ، فقد ألف الرجل النيل ، ونسى منزله على توالى السنين

وكان المسجد الذي يؤذن فيه الأعمى في طرف القرية الشمالي ، ولكي يبلغه لابد له أن يجتاز الترعة وعليها جسر ضيق ، يجوزه البصير وهو راجف حذر ، فكيف بالأعمى ، ثم يدور بعد ذلك في دروب وينعطف في منعطفات ، ويجتاز بساتين من النخيل يكثر فيها الحسك والشوك ، وعلى الرغم من هذا كله ، فان الرجل كان يبلغ المسجد وكأنه البصير الحديد البصر ، فلا يضل ولا يتباطأ في سيره ؛ ولا يعتمد على حائط ، ولا يستند الى جدار ، وشد ما تعجب لذلك وتدهش : على أنك متى سمعت القرويين وهم يقولون إن الرجل يبصر بقلبه ذهب عنك العجب كله

وإذا طلع الفجر على القرية ، وهي غارقة في سبات عميق ، وكل شيء فيها ساكن هاجع ، فلا نأمة ولا حركة ، اللهم إلا سامقات النخيل وهي تترنح مع النسيم الواني ، وسيقان الزرع وهي تتمايل مع الريح الرخاء ، طلع الأعمى الى سطح المسجد ، وانطلق يؤذن في صوت حلو النبرات عذب الرنين ، ينفذ الى كل قلب ، ويهفو الى كل أذن ، ومن الذي يسمعه وهو يقول : « حي على الصلاة ! » فيتأخر بعد ذلك عن الصلاة ؟ لقد كان صوته ليناً شجياً يرن في سكون الليل جميل اللحن عذب الرنين ، فيهب له القرويون من مضاجعهم ، ويخفون الى المسجد خاشعين صامتين

وكان الرجل محبوباً من أهل القرية جميعاً إلا النساء والأطفال . أما النساء فيكرهنه لأنه يزجرهن عن بئر المسجد ، ويمنعهن من ملء الجرار منها بقسوة وغلظة ، حتى ينقلب صوته الحنون عند محادثتهن الى صوت أجش خشن مرعب أحيانا ! والقرية لا تستغني عن ماء البئر خصوصاً زمن الفيضان عند ما يصبح الماء عكرا نصفه طين . وكم تغفلنه مرارا ، وهو الأعمى وهن النجل العيون ! على أن سمعه المرهف دائماً كان يغيظهن أشد الغيظ ! ! فاذا أدلت إحداهن الدلو في البئر وحركت « الجبيذ » (البكرة) ، وهو خشبي يحتاج للسقي بالزيت ليحبس صوته في جوفه ، صر هذا ، فيمد الأعمى قامته ويقول بصوت جاف :

« مين ؟ »

فيتركن الدلو والجرار ويرحن يصلصلن بالحلي ، ويطرن على وجوههن هاربات ، وقد تقع إحداهن على وجهها ، فتخوض فيها الأخرى من فرط الرعب ، ويقمن وجلات مذعورات ضاحكات أيضاً ، على أن هذا لم ييئسهن من البئر اليأس كله ، فهن يعلمن أنه يتروح بعد العشاء ، فاذا بصرن به خارجا من المسجد انطلقن الى البئر وهن راجفات أيضاً . فشد ما كانت تخيفهن عصاه الغليظة وإن كانت لم تصافح إحداهن حتى الآن .

ومن هنا نشأت العداوة بينه وبينهن واشتدت مع الزمن

أما الأطفال فكانوا كلما بصروا به على الجسر ، وهو في طريقه الى منزله ، تقوده عصاه ، وصدره الى الأمام ، وسمعه مرهف ، ورأسه مستو ، وقامته منتصبة ، وخطواته ثابتة متزنة جروا وراءه يسبونه ، وقد يحصبونه بالحصى أو يرمونه بالحجارة ، وهو صامت باسم لا يلتفت اليهم ولا يكلم أحدا منهم ، حتى يقرب من بيته ، وهنا يطلع عليهم كلب للجيران أسود ضخم يربض دائما على الجسر ، فينطلق وراءهم حتى يشردهم في الدروب . وشد ما غاظ هذا الكلب الأطفال حتى تسمعهم يهمسون خوفا من أن يسمعهم الكلب « لولا هذا الكلب .. ابن الكلب .. لكان الأعمى ... » وإن كانوا يقررون بينهم وبين أنفسهم أنه قلما كانت تصيب الرجل حصاة واحدة من كل ما يرمونه من حصى وحجر

ولم يكن لهذه العداوة سبب ظاهر في الحقيقة ، اللهم إلا الطبع الشرير الذي ينزع بالأطفال الى السوء ، ويحبب لهم أذى الضعفاء من الناس

***

تأخر الأعمى مرة في المسجد حتى زحف الليل ، وتكاثف الظلام واشتد ، فسمع وهو راقد في ركن من أركان المسجد صوت الدلو في البئر ، فاستوى على قدميه ، ومشى على أطراف أصابعه كاتما أنفاسه ، وصدره يضطرب ، وجسمه كله يهتز ، حتى جاز صحن المسجد ، وتيامن الى البئر ، وقلبه واجف . وكان قد خفت صوت الدلو ، ووضح صوت « الجبيذ » فقال لنفسه ، لابد أن امرأة تجذب الدلو الآن وهي مشتغلة به فلا تسمع خطوات قادم ... ووقف برهة ثم صاح بصوت خشن :

« مين ؟ »

فاستدارت المرأة وحملقت في الظلام . أواه . . . إنه سيد الأعمى على مدى ذراعين منها ، ورمت الدلو وأذهلها الموقف المرعب عن ابداء حركة ما ، فوقفت فاغرة فاها ، ثم أسعفتها غريزة الهرب بعد توان ، فولت هاربة . فسمع وقع أقدامها تجري وراءها ، وسمعه إلى خطاها ، وجرت حتى جاوزت المسجد ، وبودها لو تصيح بأعلى صوتها ، ولكن من أين لها القوة على ذلك ؟ وكيف يطاوعها الصوت ؟ وعثرت قدمها بحجر في الطريق فكبت على وجهها مذعورة ، وأنت عند ذلك أنة قوية ، فجري

على الصوت وأهوى بيده العمياء ولمس كتفها ، وكان قد بلغ منه الجهد فوقف يلهث ويده ممسكة بكتفها ، ثم أنزل يده حتى قبض بعنف على رسغها ، وقامت المرأة متراجعة ، تود لو تفلت منه بكل ما تستطيع من قوة ، ولكنه ضغط على يدها بشدة ، وتحسس بيده الأخرى وجهها وقال فى صوت متزن :

« جميلة . . . ؟ »

« . . . . »

ووقفت المرأة صامتة تهتز وترتجف

« لم لا تنادينى لأملأ لك الجرة ؟ »

وقد رق صوته جداً ، فدهشت من تطور حاله وصمتت

« لماذا ؟ »

فشجعها صوته اللين وأجابت

« إنك لاتسمح لأحد بالدنو من البئر ... فكيف أناديك ؟ »

« ليس لواحدة أو اثنتين . . . وإنما عند ما تجئن بالعشرات فتقطعن الحبل ، وتمزقن الدلو ، وتهشمن خشب الجبيذ ... فى البلد أكثر من أربع آبار قريبة ، فلماذا تجئن الى هنا دائماً . . . ؟ »

« لأن هذه أعذبها ماء . . . »

« هذا الماء العذب كثيراً ما ينزح . . . »

« النيل فى فيضانه والماء كثير ... »

« أجل ... أ ... أ ... ولكن ... أملأت الجرة ؟ »

« نصفها . . »

« سأكملها لك »

وانقلب إلى البئر ، فمشت وراءه مطمئنة ، وأدلى الدلو وهو يحس بعض الاضطراب ، فأخذ يدير الجبيذ بسرعة ليملأ لها الجرة ويصرفها عنه ، ويبعدها عن وحدته وسكونه

وقال وهو يفرغ الدلو بصوت خافت لين المخارج :

« إذا جئت مرة أخرى ... نادينى لأملأها لك »

« كتر خيرك »

وساعدها على حمل الجرة ، وانطلقت بها الى بيتها ، ووقف ينصت إلى هزيم الريح القوية فى الحقل البعيد

* * *

وأخذت جميلة بعد هذه الليلة تتردد على البئر دون خوف أو وجل ، كانت تجىء فى كل يوم مرة ، عند مطلع الفجر أو بعد أذان العشاء ، لأن زوجها لا يسمح لها بالسير فى طريق القرية إلا بعد أن ينام الناس ، وتنقطع الرجل . . فهى فتاة فى رونق صباها رائعة الحسن غضة العود وزوجها يخشى عليها العين ! ولا يحب لها ملاقاة شبان القرية الذين يقفون على رأس الطريق فى ساعات معينة من النهار ! وكانت تقابل سيد الأعمى فى غالب الأوقات التى ترد فيها البئر ، وكثيراً ما أترع لها الجرة ، وأعانها على حملها ، أو ملأ لها الحوض الصغير الذى على يمين البئر لتغسل وجهها ورجليها قبل ذهابها الى بيتها ، وكانت تطوى كميها الى مرفقيها ، وتحسر شالها عن شعرها ، وترفع ثوبها الى ساقيها وهى منحنية على الحوض تغتسل . كانت تفعل ذلك ، دون خجل أو حياء لأن سيداً أعمى

واستراح سيد على مرور الأيام لمحضرها حتى أصبح يشعر فى الأيام التى تتخلف فيها بالانقباض والوحشة . كان يحس ، من أعماق نفسه ، أن شيئاً ينقصه ، شيئاً يستريح معه ، وينشرح له صدره ، وتنتشى حواسه ، وتهدأ ثائرة أعصابه

وكانت جميلة تدفعها غريزتها أول الأمر إلى الخوف منه واتقاء شره كرجل ، بصرف النظر عن كونه أعمى ، ولكنها ما لبثت — بعد الانفراد معه مرة ومرات — أن استراحت واطمأنت ووثقت من عفته وخلقه ، حتى كانت تخرج معه إلى حد المداعبة ، كأن تخفى عكازته ، أو تخلع الدلو ، أو تقطع الحبل ، أو ترشه بالماء ، وكان يضحك لهذا حتى يرقص قلبه ، ويلوح لها بعصاه مهدداً

على أن هذا التآلف الذى أصبح بين سيد وجميلة ، لم يشجع غيرها من النساء على القرب من البئر ، لأنهن كن لا يعلمن بتغير حاله ، وإن علمن لا يصدقن ، ولم يكن هو يزجرهن عن البئر ، ويمنعهن من ملء الجرار منها ، لأنه كان يخاف على الماء فقط ، بل لأن شيئاً خفياً فى أعماق نفسه ، كان يدفعه إلى النفور منهن وابعادهن عن جوه ... دافع باطنى عجيب كان يخرجه عن هدوئه وسكونه ، عند ما يسمعهن يتحدثن على الماء أعذب حديث وأرقه ، كان يرجف له ويضطرب ، وهو الرجل وهن النساء ... شعور باطنى غريب كان يحمله على فعل ذلك ولم يستطع تحليله ولا تعليله ، وهو الجاهل الذى لم يذهب إلى المدرسة ولم يدرس علم النفس . لقد قضى الرجل حياته بعيداً عن جو المرأة فأخرجها عن دائرة تفكيره ، بعد أن خرجت عن دائرة وجوده ، ولم يعد يفكر فيها مطلقاً ... لم يعد يفكر فيها ، ولا يحن إلى لقياها ، ولا يستريح لرفقتها

البريد الأدبي

المؤتمر الدولى لنادى القلم

يعقد المؤتمر الدولى الرابع عشر لنوادى القلم فى مدينة بوينوس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية (أمريكا الجنوبية) فى شهر سبتمبر القادم ، وتستمر دورة الانعقاد عشرة أيام من ٣ سبتمبر الى ١٣ منه . وقد اتخذ نادى القلم الأرجنتينى استعدادات عظيمة لعقد هذا المؤتمر ، وسعى جهده لجمع أكبر عدد ممكن من مندوبى النوادى المختلفة فى عاصمة الأرجنتين ولم يبخل فى سبيل هذه الغاية بانفاق آلاف الجنيهات لتسهيل سفر المندوبين من بلادهم النائية الى أمريكا الجنوبية واضافتهم مدة انعقاد المؤتمر ؛ وقد استأجر لهذه الغاية باخرة خاصة تقوم من مياه البحر الأبيض بجميع المندوبين الرسميين فى أوائل شهر أغسطس القادم ، ثم تعيدهم الى نفس المياه فى أوائل شهر أكتوبر ومنها يتفرقون عائدين إلى بلادهم

وكان يتضايق حتى من وجود أم سيد معه فى منزل واحد .... وإن كان ينام بعيداً عنها ، ولا يلاقيها إلا نادراً — غالباً فى الأوقات التى كان يرجع فيها الى البيت مبكراً ليتعشى — فكان يتذمر ويضطرب لمحضرها ، وإن كان بعدها أماً . كان يرجف لوجودها معه ، ويحس بروحه تثور ، لأنه ما كان يحب أن يتصورها جالسة أمامه ترقبه وهو يمضغ الطعام ، ويقطع الخبز بأسنانه ، وكان لا يعود لهدوئه وسكونه إلا بعد أن يتنفس الصعداء فى قاعته

ولما اعترضت جميلة طريقه أول مرة ، كان يحمل معه عصاه ليضربها ؛ ولكنه لما سمع صوتها عن قرب ، ووقف عند رأسها ، وأمسك بيده رسغها ، وصافحته أنفاسها ، تراجع ، وأيقن أنه أمام مخلوق لا يستحق الضرب !

وأخذ بعد ذلك يترقب حضورها ، ويتأخر فى المسجد عامداً ليعينها على حمل الجرة ، ويملأ أذنيه من صوتها

(لها بقية) محمود البدوى

وسيشهد نادى القلم المصرى هذا المؤتمر الكبير ؛ وقد اختار لتمثيله أحد أعضائه الدكتور محمد عوض الأستاذ بالجامعة المصرية وقد سبق أن مثل حضرته نادى القلم المصرى فى مؤتمر القلم الذى انعقد فى مدينة ادنبورج باسكوتلنده فى صيف سنة ١٩٣٤

وسيعنى المؤتمر ببحث جميع المسائل المتعلقة بالأدب والكتابة وحقوق التأليف وحرية القلم ومسائل النشر وما إليها ؛ وتلقى فيه عدا ذلك عدة مباحث عالية من بعض المندوبين . وسيلقى مندوب مصر ما يناسب المقام

وهذه بعض المسائل المعينة التى سيعنى ببحثها المؤتمر :

(١) مهمة الكاتب فى المجتمع ، وما يستطيع نادى القلم أن يفعل فى ذلك السبيل (٢) نشر المؤلفات الأدبية وتبادلها بين مختلف البلدان ، ومسألة التراجم ، والعلاقة بين المؤلفين والترجمين ، والعلاقة بين المؤلفين والناشرين فى الداخل والخارج (٣) مسألة إعانة الكتاب المعسرين

ومسائل كثيرة أخرى تهم الأدب والكتاب

تطور الفكرة التاريخية اليهودية

نشطت الخصومة السامية ، أعنى حركة العداء ضد اليهود فى الأعوام الأخيرة نشاطا ظاهرا وذلك لأسباب سياسية واجتماعية كثيرة لا محل لشرحها هنا . وقد أثارت هذه الحركة من جانبها نشاطا كبيرا فى التفكير اليهودى والآداب اليهودية ؛ ومما يلاحظ بنوع خاص أنه قد صدرت فى الأعوام الأخيرة عدة كتب جديدة عن تاريخ اليهود أشرنا الى بعضها فى فرص سابقة ، وقد صدرت أخيرا ترجمة فرنسية لمختصر تاريخ اليهود الذى ألفه المؤرخ اليهودى الشهير سيمون دوبنوف بالروسية ؛ وهذا التاريخ فى الأصل ضخم جدا ، ويقع فى عشرة أجزاء كبيرة ، ويعتبر من أمهات التواريخ اليهودية التى صدرت فى العهد الأخير ؛ وقد وضع سيمون دوبنوف لمؤلفه مختصرا فى مجلد واحد هو الذى ترجم أخيرا إلى الفرنسية تحت عنوان « مختصر التاريخ اليهودى منذ

نشأته حتى سنة ١٩٣٤ « Précis d'histore jinre des origines à 1943

وأهمية هذا المؤلف الجديد وما تقدمه فى الأعوام الأخيرة عن تاريخ اليهودية ترجع الى تحول النظرية التاريخية اليهودية ، فقد كانت هذه النظرية تقوم من قبل على أسس دينية وينوه فيها دائما بما للشعب الاسرائيلى من مركز دينى ممتاز ، وبما تذهب اليه التقاليد اليهودية القديمة من أن اسرائيل هو الوسيط بين الله والناس ، وأنه الشعب المختار ، الى غير ذلك من المزاعم الدينية القديمة ؛ أما هذه الكتب اليهودية الجديدة فقد كتبت من الناحية القومية ، ولوحظ فيها أن اليهودية هى جامعة قومية لا دينية ؛ ويرجع ذلك كما قدمنا الى انتعاش الفكرة القومية اليهودية إزاء اشتداد الخصومة السامية ، وما تلاقيه الصهيونية من المتاعب والمحن

وكتاب دوبنوف برغم ايجازه قوى واضح ، وقد ألم إلماما مدهشا بمواقف التاريخ اليهودى فى مدى ألفى عام

موسم سالزبورج الموسيقى

يقام فى سالزبورج بالنمسا فى كل صيف موسم فنى عالى للتمثيل والموسيقى . ومواسم سالزبورج شهيرة منذ أعوام طويلة ؛ وسالزبورج هى موطن موتسارت ، وما زالت بها أكاديمية موسيقية تحمل اسم الموسيقى العظيم . وسيكون موسم هذا الصيف الذى يعقد ما بين ٢٥ يولية و ٣١ أغسطس من أبدع وأروع المواسم المسرحية والموسيقية التى عرفها العالم فى الأعوام الأخيرة . ويكفى أن تعلم أن المشرف على تنظيم برامج هذا الموسم هو أعظم الفنانين والموسيقيين المعاصرين : ماكس رينهارت ، وارتورو توسكانينى ، وبرونو ڤالتر ، وفيلكس فون فاينجارتنر . وسيشمل البرنامج المسرحى تمثيل عدة من القطع العالية الخالدة مثل « فيجارو » وموسيقاها لموتسارت . و « فيدليو » وموسيقاها لبيتهوفن و « أقطاب الغناء فى نورمبرج » لڤاجنر ؛ و « تريستان وازولدا » وموسيقاها له أيضاً و « اريفوس وازولدا » وموسيقاها لجلوك . و « فالستاف » وموسيقا لفردى . وسيقود الفرق الموسيقية توسكانينى وڤالتر وڤاينجارتنر . ويشمل البرنامج الموسيقى عدة حفلات موسيقية بديعة لموتسارت وبيتهوفن ولزث وشوبرت وباخ وستقام فى نفس الوقت حفلات موسيقية دينية فى الكاتدرائية الكبرى

وتغص سالزبورج فى مثل هذا الفصل بالوافدين عليها من جميع أنحاء العالم . ولكن الأنباء الأخيرة تدل على أن احتشاد الوافدين فى هذا الفصل قد بلغ حداً لم تعرفه سالزبورج من أعوام بعيدة

عضو جديد فى الأكاديمية الفرنسية

من أنباء باريس الأخـــيرة أن الأكاديمية الفرنسية قد استقبلت عضوا جديدا هو لوى چيليه ، وقد انتخب فى الكرسى الذى خلا بوفاة الكاتب الشهير البير بينار ، وترجم سلفه فى اجتماع حافل من أعضاء الأكاديمية طبقا للتقاليد المعتادة . والعضو الجديد من طراز خاص من المفكرين يندر أن يوجد بين أعضاء الأكاديمية ، ذلك أن لوى چيليه رجل فن وناقد فنى فقط ، وهو منذ أعوام طويلة مدير لأحد المتاحف البارزية . وقد اشتهر فى العهد الأخير بعدة مؤلفات قيمة عن الفن وتاريخه منها « تاريخ التصوير فى أوربا فى القرن السابع عشر » Peinture en Europe au XVII e Siécle و « تاريخ الفنون فى فرنسا » Hist, dés Arts en France وغيرها ، وهو من أشهر النقدة الفنيين فى نوعه ينقد الصور والتماثيل الحديثة ، ويكتب عن معارض الفنون رسائل قيمة

جوائز أدبية

منحت جمعية النقدة الفرنسيين المؤلفة من جماعة من أعظم الكتاب والنقدة « جائزة النقد » السنوية الى كاتبين كبيرين هما مسيو رنيه دومزنل ، ومسيو مارسل تيبو ؛ ولكل منهما فى النقد مواقف مشهورة ؛ وقد امتاز مسيو دومزنل بنوع خاص بدراساته لبعض أكابر كتاب الجيل المنصرم مثل موباسان وهيسمان وفلوبير . ومما يؤثر عنه أنه كان طبيباً بالمهنة فاستهواه النقد وتدرج فيه حتى اعتزل الطب ؛ وأما مارسل تيبو فهو المحرر النقدى « لمجلة باريس » الشهيرة

ومنحت جائزة الأدب الشعبى الى ترستان ريمى ، وهو من كتاب « الصماليك » والعوالم السفلى ، وقد اشتهر بقصته « حى سان انتوان » وله عدة قصص أخرى تدور حول حياة الطبقات الدنيا فى باريس

الاقتصاد وسيلة لتحقيق السلام

يعانى العالم أزمات سياسية واقتصادية لا نهاية لها ؛ وتكاد النظم الاقتصادية فى بعض الأمم العظيمة تنهار ؛ وترى أمم عظيمة أخرى أن الحرب ربما كانت أفضل الوسائل للخروج من أزماتها ومتاعبها ؛ ويكد معظم الحكومات والساسة للخروج من هذه المآزق ، وقد نشر أخيراً أحد الكتاب الانكليز كتاباً طريفاً يدلى فيه برأى غريب لانقاذ الأمم من أزماتها ؛ وعنوان هذا الكتاب هو « فى وسع الأمم أن تعيش فى أرضها » Nations con liue at Home ومؤلفه هو المستر ولكوكس Willcox وهو عالم فى الاقتصاد الزراعى ، ويحاول المؤلف أن يرد فى كتابه على السؤال الآتى : « ما هو أكبر عدد يمكن أن يعيش من منتجات فدان أو ميل مربع من الأرض الصالحة ؟ » ويرى مستر ولكوكس أن الجواب على هذا السؤال تتوقف عليه نتائج اقتصادية وسياسية خطيرة ؛ وهذا هو ملخص رأيه :

« إن أنجع الوسائل لتحقيق السلام الدولى ، وتقليل خطر الحرب إن لم يكن إلغاؤها ، هو تحسين الانتاج الزراعى إلى حد يمكن الأمم من أن تعيش فى أرضها ، ويبعد عنها خطر الجوع أو الحرمان ، وأن تستغنى إذا اقتضى الحال عن الموارد الأجنبية وما يلزم للرفاهة والحياة الناعمة »

ولقد تنبأ العالم الاقتصادى ملتوس منذ أكثر من قرن بما سيعانى العالم من وفرة السكان ونادى بنظرية ضبط النسل ؛ ولكن العالم فى أنحاء كثيرة لم يصل فى وفرة السكان إلى الحد الذى يدعو إلى القلق . بيد أن هناك أمماً قد وصلت فى ذلك إلى حد مزعج مثل ألمانيا واليابان وإيطاليا ، ويرى مستر ولكوكس أن تقدم الانتاج الزراعى هو خير علاج لهذه الأزمة

والكتاب علمى فى أسلوبه ومناحيه ، ولكنه واضح بعيد عن ذلك التعقيد الفنى الذى يذهب بكثير من قيمة الشروح والبيانات القيمة

الى الأستاذ محمد عبد الله عنان

لما استطردتم فى مقالكم القيم عن (البارون فون أوفنباخ) فى الرسالة ١٤١ إلى ذكر الماسونية وقلتم (إن لها أغراضاً خفية غير الأغراض الانسانية التى تتظاهر بها ، وإنها تعمل لغاية ثورية شاملة هى سحق الأديان والمعتقدات القائمة كلها ، وادماج الانسانية كلها فى نوع من التفكير الحر المطلق والمساواة الاجتماعية المطلقة) قرت عيون جمهرة القراء عندنا وعدوها لكم منقبة ، وباتوا يرقبون عودة منكم إلى هذا الموضوع ، لأن الناس لا يشكون من شىء عندنا ما يشكون من الماسونية . ولا يرون ظلما ولا إلحاداً ولا رذيلة إلا وللماسونية صلة به ، ذلك أن الماسونية عندنا ليست — على الأكثر — إلا شركات نفعية مؤلفة من أشخاص ليس لهم مبدأ معروف ، ولا غاية نبيلة ، ولكن مبدأهم ومنتهاهم جلب النفع لأنفسهم ودرء الضرر عنها ، ولو كان فى ذلك ضرر المجتمع ، وذهاب الفضيلة وهدم الدين ؛ يتعاونون على الخير والشر ، ويتناصرون على الحق والباطل ، ويدوسون كل المقدسات فى طريقهم إلى منفعتهم ، فيدافع القاضى عن المجرم ، ويتنكب سبيل العدل ، ويخون المعلم منهم فى الامتحان ، فينجح المقصر ، ويسقط المجتهد ؛ وإذا خلت وظيفة لم يعين العالم الكفء القدير ، ولكن يعين لها من له صلة بالماسونية التى يعتنقها من بيدهم أمر تعيينه ، ولو كان جاهلاً ، ولو كانت وظيفة رئيس المفتشين فى وزارة المعارف ، أو عضو الاستئناف فى وزارة الحقانية ، أو غير ذلك . . .

فهل هذه هى الماسونية ؟ وهل يتفضل سيدى الأستاذ فيجلو لنا غامضها ، ويكشف لنا خفيها ، فيبين منشأها وأصلها ومبادئها ، ويذكر لنا ما هى قيمتها اليوم فى أوربا وفى بلدان الشرق الأدنى ، وما هى علاقتها بالدين والوطنية فى فصل تخطه براعته البليغة ؟

(دمشق) (ع)

ديوان حافظ ابراهيم

قررت وزارة المعارف العمومية طبع ديوان الشاعر الخالد حافظ بك ابراهيم . وقد ندب معالى الوزير لهذا العمل الخطير صديقنا الأستاذ أحمد أمين ، فكلفه أن يجمع أشعاره ثم يرتبها ويبوبها ويصححها ويشرحها ويقدم لها ويعلق عليها

وهذه مأثرة جميلة لوزارة المعارف نرجو أن يساعدها على إتمامها كل من عنده أثر من آثار الشاعر العظيم مما لم ينشر فى صحيفة أو يطبع فى ديوان فيرسل صورة إلى الأستاذ الشارح خدمة للأدب وبراً بالأديب

من هنا ومن هناك

آثار مصر القديمة منذ ٦٥٠ سنة

ألف الأديب الرحالة المصرى ابن فضل الله العمرى كتابه الموسوعى العظيم (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) منذ خمسين وستمائة سنة (هـ) فى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وظل الكتاب مخبوءاً فى زوايا الاهمال حتى أتيح بعثه على يد فقيد العروبة العامل الأستاذ أحمد زكى باشا سنة ١٩٢٤، والكتاب ذخيرة ثمينة حقاً، وهو لا يقل فى قيمته عن الموسوعات المصرية الثلاث الأخرى (صبح الأعشى، ونهاية الأرب، ولسان العرب)

ولعل أظرف فصل عقده المؤلف فى كتابه (ح ١) هو ذلك الفصل الذى يتكلم فيه عن آثار مصر القديمة، وما كان الناس يفترضونه من تاريخها، وما يعللون به تشييد تلك المبانى الضخمة والهياكل العتيدة!

وقد وصف ابن فضل الله أهرام الجيزة فقال: « . . وهى أشكال لهبية، كأن كل هرم لهبة سراج، آخذة فى أسافلها على التربيع مسلوبة فى عمود الهواء، آخذة فى الجو حتى إلى التثليث، لولا استدارة أبلوج السكر (قمع السكر!) لشبهناها به، ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعاً لبعض الكواكب لمناسبة اقتضته . . » وذكر قبل ذلك سبب بنائها قال: « قيل إنها هياكل للكواكب، وقيل قبور ومستودع مال وكتب، وقيل ملجأ من الطوفان، وهو أبعد ما قيل فيها! » ثم يعلل أنها لم تكن ملجأ للطوفان بأنه شاهد بعض الأهرام فى مصر العليا مبنية من اللبن! وبعد أن يذكر بعض أقوال الشعراء فى صفتها ينتقل إلى أبى الهول فيقول: « . . . وهو اسم لصنم يقارب الهرم الكبير، وفى وهدة منخفضة تقع دونه شرقاً بغرب. لا يبين من فوق سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم وعنقه، أشبه شىء برأس راهب حبشى، عليه غفارية؛ على وجهه صباغ أحمر إلى حوّة، لم يحل على طول الأزمان وقديم الآباد، وهو كبير، لو كان شاخصاً كله لما قصر عن عشرين ذراعاً طوله فى غاية مناسبة التخطيط!! يقال إنه طلسم يمنع الرمل عن المزدرع . . . »

ويسمى ابن فضل الله سلسلتى جبال العرب وليبيا (حائط العجوز!!) « وهو حائط يستدير بالديار المصرية ممتداً على جانب المزدرع بها كأنه جعل حاجزاً بين الرمل والمزدرع . . . » ويقول . . . « إنه من بناء امرأة اسمها دلوك . . . »

ومع هذا لا يرى ابن فضل الله أن يتورط فى ذكر الخرافات التى تقال فى سبب بناء دلوك لهذا الحائط فيقول: « ويذكر فى تلك الكتب — بسبب بناء العجوز له — خرافة لسنا نرضى ذكرها!! »

ويسمى المؤلف تمثالى ممنون بالقرب من وادى الملوك (شامة وطامة!!) ثم يصف البرابى فيبدع إبداعاً تاماً، وينتقل إلى الاسكندرية فيصف عمود السوارى، والمنارة، والملعب الكبير وصفاً يدل على ذوقه الفنى الدقيق!!

فلوبير وحديقة الكرمب

يعتبر جوستاف فلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) الوارث الأكبر للمدرسة الابتداعية فى الأدب الفرنسى عامة، والوارث لبلزاك خاصة، وإن يكن هو من الكتاب الريالست، وإن يكن أيضاً يمتاز من بلزاك بطلاوة أسلوبه ونقاء عبارته وإشراق ديباجته، وعدم إسفافه . . . وهى مزايا لم يكن بلزاك يعرف شيئاً منها

ويشبه فلوبير فى شدة عنايته بأسلوبه شاعرنا الجاهلى زهير ابن أبى سلمى المعروف بصاحب الحوليات. فلقد كان فلوبير يأرق الليالى الطوال من أجل لفظة واحدة؛ حتى إذا فاز بها، ثم مضى زمن يسير، رجع فحذفها من مقاله أو من كتابه، وقد يكون ذلك وقت الطبع، ومن هنا هذه الموسيقى الحلوة التى اشتهرت بها كتبه لاسيما فى (مدام بوفارى) و (سانت أنطونى وسلامبو)

وقد بلغ من شدة شغف فلوبير بتقرير الواقع فى قصصه أنه كان يجشم نفسه المشاق والأهوال ليصف منظراً عارضاً فى زاوية منسية من زوايا هذه القصص . من ذلك أنه أراد وصف مزرعة كرمب فى ليلة مقمرة مقرورة . . . فترك القصة بحذافيرها ، وانتظر حتى كان موسم الكرمب ، ثم رحل إلى ضاحية اشتهرت بنوع جيد من هذا المحصول ، وثمة تلبّث حتى آذنت الليالى المقمرة … ولكن صاحبه البدر طفق يتدلل ويتستر وراء السحب القاتمة .. وكان الشتاء القارس يعذبه ببرده ولياليه الطوال ، وكان فلوبير ما يبرح واقفاً وسط المزرعة بقلمه وقرطاسه ، منتظراً إشراقة واحدة من حبيبه القمر ليصف فيها منظر أشعته الفضية على أوراق الكرمب

ونال أمنيته بعد أن نال منه القمر كل أمانيه ! !

روبرت أون والعمال

تنتقل مصر رويدا رويدا من الطور الزراعى الذى لا يتفق ومدنية هذا العصر إلى الطور الصناعى … طور المدنية والقوة والسيادة . وقد رأت انجلترا مثل هذا الانتقال ، ورأت فيه جملة ثورات اجتماعية كانت الاشتراكية أهمها جميعاً . والاشتراكية تعنى سعادة البشر ومكافحة الفقر ، ومن هنا انضواء غالبية المفكرين تحت لوائها وسهرهم على تعميمها فى كل مناحى الحياة حتى فى دور العلم ! ويعتبر روبرت أون (١٧٧١ — ١٨٥٨) خالق الاشتراكية وواضع مبادئها بالعلم والعمل ، بل هو الذى استحدث هذه الكلمة Socialism فى النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٣٥) . ومن العجيب أنه كان من أكبر غزالى القطن فى منشستر ، وله جملة ابتكارات فى صناعة الغزل تعتبر أسساً لتقدمها

وكان أون يحب الاختلاط بالعمال ، ودأب من كثب على دراسة أحوالهم ومعايشهم ، وكان يروعه فقرهم وقذارتهم وعدم قيام رواتبهم الضئيلة بحوائجهم ، فنذر ، إذا واتاه الحظ ، أن يحدث فى حياتهم ثورة تطير بهم إلى السعادة … وقد حققت الأيام مطامحه فأصبح من أغنياء منشستر ، وذكر نذره فأنشأ مصانعه العظيمة فى نيولانارك New Lanark على أحدث النظم وعلى أحسن القواعد الصحية ، وكان أهم ما عمله لترقية العمال تحسين أجورهم وتقليل ساعات العمل (وكانت ١٢ ساعة فخفضها إلى عشر ، ثم إلى ثمان) ، وأنشأ لهم مساكن صحية ، وحرّم العمل على صغار الأطفال (أقل من عشر سنوات) ، وضمن التعليم الابتدائى بالمجان لأبنائهم ، وأنشأ لعماله مستشفى بجوار المصنع جلب اليه أمهر الأطباء وأحدث الآلات الطبية ، ووضع للطاعنين فى السن منهم نظاماً يكفل لهم شيخوخة سعيدة

ولم يكتف أون باستحداث هذه النظم لرفاهية العمال فى مصانعه فقط ؛ بل عمل على تعميمها فى المصانع الأخرى … ولذلك ثار فى وجهه أصحاب هذه المصانع ، وكان أكثرهم من اليهود ، ممن لا هم لهم إلا امتصاص دماء الانسانية وصهرها ثم تحويلها إلى ذهب ! ولكن أون العظيم صمد لهم ، وما زال بالشعب وبالعمال وبالحكومة حتى انتصرت مبادئه ، وأصبح العامل الانجليزى مدى قرن من الزمان أسعد ألف مرة من اخوانه فى جميع الآفاق

ولم يكن أون صاحب مصانع فحسب ، بل كان كاتباً وخطيباً مفوهاً ، ولذا كانت خطبه تسحر العمال وتبعث فيهم الشعور بالكرامة وتشيع فى أعطافهم الكبرياء

اليوجنيه الحديثة New Eugenics

اليوجنيه أو علم تحسين النسل هو علم حديث يرجع إلى سنة ١٨٨٥ فقط ، وموجده هو السير فرنسس جالتون المتوفى سنة ١٩١١ . وقد أوصى عند موته أن يرصد جزء كبير من دخله لانشاء كرسى لهذا العلم فى جامعة لندن ؛ وقد اشتغل السير جالتون كثيراً بعلوم الأحياء قبل أن يلتفت إلى هذا العلم . ومن رأيه قصر التناسل على الفتاة العاقلة القوية ذات الفضائل من الناس لايجاد جيل راق يقود البشرية مرحلة كبيرة إلى السوبرمان ؛ وقد سمى هذه العملية من برنامجه positive eugenics ومن رأيه كذلك حرمان البلهاء والمرضى والمجرمين وأهل الرذائل من التناسل حتى لا يؤخروا موكب الانسانية عن التقدم والرقى ويسمى هذه العملية negative eugenics

وسير جالتون يعنى عناية كبيرة بمذهب السلوكيين فى السيكلوجية الحديثة ، بل هو قد اتخذ من مباحثهم الطريقة نبراساً له فى وضع الدعائم لهذا العلم الجديد

د . خ

الكتاب منذ بدايته حتى نهايته ، فان فى بعض الفصول التى أضافها الأستاذ توضيحاً للمذاهب أو تمهيداً لذكرها أحكاماً يشوبها الضعف أو نقصاً فى استيفاء الموضوع . أو هكذا يخيل إلىّ . . .

فتراه يكتب فصلاً يدلل فيه على أن الناس خاصتهم وعامتهم يتفلسفون وإن أنكر بعضهم أنه يتفلسف . . ! ذلك لأنهم يعيشون فى الدنيا ويضربون فى زحمتها متأثرين بآراء قد تولت الفلسفة البحث فيها وانتهت منها إلى نظريات ومذاهب قد يعرفها طغام الناس . وهذا رأى غريب ، لأن الفلسفة ليست « عناوين » من عرفها كان من حقه أن يكون فيلسوفاً ، وإنما هى « بحث » يتناول الآفاق المجهولة فى رحاب الحياة ، هى « بحث » مجهول للناس يتناول ما تجهله العلوم وأهلها — ونهجها فى ذلك توضحه هذه الجملة : أنى وقف التفكير العلمى بدأ التفكير الفلسفى — فالناس عامتهم وخاصتهم لا يتفلسفون وإنما تبلغهم آراء يوحى بها الدين أو يمليها العرف — بما يؤلفه من مختلف العناصر — فيعملون بها ويسيرون على نهجها من غير تفكير فى أمرها ؛ فان تناولوها بالجدل حيناً فسرعان ما ينحرفون عنه مقتنعين ولو بلاشىء . وليس هذا شأن المتفلسفة فى أى زمان أو مكان . . . أو ترى الأستاذ يكتب فصلاً ممتعاً يتناول فيه وظيفة العلم وطريقته فى البحث ويلخص لك ما ينتهى اليه ويثبته فى أرقام مسلسلة ليتيسر للقارىء معرفة الفوارق بينه وبين الفلسفة ، ولكنه ينسى أن يتحدث فى هذا الفصل عن أولى الخواص التى لا يستطيع الانسان فى العصر الحديث أن يتصور العلم من دونها ، وهى أن العلم يمتاز من سائر آفاق المعرفة الانسانية فى أنه « يبحث الشىء من حيث هو شىء » وليست تعنيه علاقة هذا الشىء بغيره من الناس . ولهذا كان العلماء آخر من يفكر فى الانسانية ويعطف عليها ، لأن التفكير فى صالحها يدخل فى باب العاطفة ، وبين العلم والعاطفة عداء مستحكم الحلقات . فمخترع الغازات السامة أو الغواصات أو الدبابات وما اليها عالم موفق قد تهيأت له أسباب النجاح فى تطبيق نظريات العلم — وإن ساء فيه رأى المجتمع وجزع الناس لما اخترع — وإن قلت له إن عملك يشقى الناس أجابك على الفور : أنا عالم ، أبحث الشىء من حيث علاقته بذاته ، ولا شأن لى بعد هذا بما تفضى اليه نتائج البحث وتطبيقها خيراً كان أو شراً »

على أن من العدل أن نقول إن قيمة الكتب لا يحددها اتفاق الرأى بين الكاتب والقارئ ، وإن خلوها من المآخذ التى يتصورها الناقد لا يصلح أن يكون مقياساً للاعجاب بها والرضا عنها ، لأن مدارك الناس فى تفاوت ، ثم إن خلوهم من النقص محال

وقد تثير هذه الكلمة فى نفسك سؤالاً تطلب الى فيه أن ألخص لك « البراجماتزم » ولكنى لن أجيبك الى مطلبك إشفاقاً على نفسى من الاضطلاع بهذا العمل . وأمامك كتاب الأستاذ يعقوب فاقرأه تعلم أن لجنة التأليف والترجمة والنشر قد أنصفت فى اختيار هذا الرجل للقيام بتأليف هذا الكتاب ، فهو عالم يكثر الاطلاع ، ويحسن الفهم ، ويجيد العرض ؛ ويحب أمريكا ! ومن أقدر على الكلام فى « البراجماتزم » من رجل تتوفر له هذه الصفات . . ؟

ث . الطويل
ليسانسيه فى الفلسفة

فهرس الموضوعات للمجلد الأول من السنة الرابعة للرسالة

فهرس الكتّاب للمجلد الأول من السنة الرابعة